الغلو في الدين أو التطرف
في ميزان الدعوة الإسلامية

د/ مجدى عبدالغفار حبيب
أستاذ الدعوة والثـقافة الإسلامية المساعد
كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجميعن ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وأرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين .

أما بعد ،،،

فإن الدعوة الإسلامية دعوة وسطية ، أي تبتعد عن التطرف ، لا إلى اليمين ، ولا إلى اليسار ، لا إلى جهة الإفراط ، ولا إلى جهة التفريط ، فكما أن التفريط مهلك، والإفراط مهلك ، والتسيب ، والتحلل ، والخروج من أوامر الشرع، والتفلت من قيود هذا الدين العظيم مهلك ، فكذلك الغلو في الدين أيضاً مهلك.

ولا توجد أمة عانت من الغلو أو التطرف ما عانت منه امتنا فيكفي أنك مسلم تُذل وتُهان وتُقذف جُزافاً بالإرهاب وبسبب مَن بسبب شرذمة ضيقة الأفق والعقل اتخذوا الدمار والقتل وترويع الآمنين منهجاً لهم كان خيراً لهم ولنا لو أنهم تسلحوا بالعلم بدلاً من القنابل والمسدسات..

منطقهم ضعيف وهش لذا لا يقبلون أن يُناقشوا به من قبل غيرهم ، فما أسهل الإفتاء عن التكفير وإباحة الدماء..

ومنطقهم : رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب..

تعصب مقيت يتغلغل في أعماق البعض ليُخرج لنا أصنافاً من البشر يسلبون الغير حقوقهم تحت مسميات كثيرة.

إن المتشددين أو المتطرفين لم ينتبهوا إلى أن الرسول ﷺ لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما وأنه قال لصحابته الكرام: يسّروا ولا تعسروا .. إن ديننا دين الرحمة لكن أولئك ليسوا بأصحاب عقيدة وأصحاب رسالة .. هم أناس قد زرع فيهم البعض أفكاراً معينة لخدمة مصالح خاصة الدين آخرها.

وكما أن الله تعالى نهانا في آيات كثيرة من كتابه عن المعصية ، وعن التقصير، والكسل وحب الدنيا ، فقد نهانا أيضاً في آيات أخرى عن الغلو في الدين، أو ما يطلق عليه التطرف.

وسأتناول في هذا البحث الغلو في الدين أو التطرف في ميزان الدعوة الإسلامية.

من خلال ستة مباحث ، وذلك كما يأتي :

المبحث الأول : مفهوم الغلو في الدين أو التطرف والكلمات ذات الصلة .

المبحث الثاني: وسطية الدعوة الإسلامية ونبذها للغلو .

المبحث الثالث: أسباب الغلو في الدين أو التطرف .

المبحث الرابع: مظاهر الغلو في الدين أو التطرف .

المبحث الخامس: أثر الغلو في الدين أو التطرف على الدعوة والدعاة .

المبحث السادس: علاج ظاهرة الغلو أو التطرف .

والله – تعالى – أسأل أن ينفع به ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

المطلب الأول

الغلو والتطرف بين المدلول اللغوي والمفهوم الاصطلاحي :

المدلول اللغو لكمة الغلو :

الغلو لغة : هو الارتفاع ، والإفراط ، ومجاوزة الحد أو القدر في كل شيء، يقال : غلا في الشيء يغلو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمى ، وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا تغلب وتشدد حتى تجاوز الحد ويُقال للشيء إذا ارتفع : قد غلا.

قال ذو الرمة :

فما زال يغلو حبُّ ميَّةَ عندن ويزداد حتى لم نجد من نزيدها

فالغلو تجاوز الحد [١]

المفهوم الاصطلاحي للغلو :

أما الغلو في الدين في الاصطلاح الإسلامي ، فمعناه : التعمق ، أو الإفراط ، أو مجاوزة الحد في الأقوال والأعمال [٢].

وبعبارة أخرى : (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق) [٣] أو (الزيادة على ما يطلب شرعاً)[٤].

ولذا يمكن القول : إن الغلو : هو المبالغة في الشيء ، والتشديد فيه بتجاوز الحد، والحد هو النص الشرعي من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ، والواجب على المسلم أن يكون وقّافاً عند حدود الله تعالى.

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (مجد الدين) ج٣ ص١٦٩ ، تحقيق صلاح محمد عويضة ط/ دار الكتب العلمية بيروت. ولسان العرب لابن منظور ج١٥ ص١٣١ – ١٣٤. بتصرف ط/ دار الكتب العلمية بيروت. والتوقيف على مهمات التعريف للمناوي (٥٤٠/١) (باب الغين فصل اللام) تحقيق د/ محمد رضوان الداية ط/ دار الفكر المعاصر بيروت. (٥٤٠/١) .

(٢) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي ج١٦ ص ٢٢٠ . ط/ دار الفكر.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٣٠١/١٢). ط/ دار المعرفة بيروت.

(٤) انظر الفواكه الدواني : النفراوي (١٢٥/١) ط/ دار الفكر.

فحقيقة الغلو : مبالغة في الالتزام في الدين ، وليس خروجا عنه في الأصل، ويكون متعلقاً بفقه النصوص ، أو الأحكام ، أو الحكم على الآخرين ، وكما يكون فعلاً فإنه يكون تركاً ، كترك النوم وتحريم الطيبات ، وليس منه: طلب الأكمل من العبادة، بل هو تجاوز الأكمل إلى المشقة ، ومعلوم أن الحكم بالغلو على شخص أو فعل لا يجوز إلا بالكتاب والسنة ، ولا يقدر عليه إلا العلماء [١].

ومما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على "الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد.

وأن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة ، وأن الغلو هو : ((الإفراط في مجاوزة المقدار المُعتبر شرعاً في أمرٍ من أمور الدين)).

الغلو نوعان :

١- غلو اعتقادي :

كغلو النصارى في عيسى عليه السلام ، أو غلو الرافضة في الإمام علي والأئمة الإثنى عشر ، أو غلو الخوارج أيضاً في تكفير أهل الإسلام بالمعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها ، ومن الغلو أيضاً في الاعتقاد ما أشار إليه الشاطبي وهو الغلو في بعض الفروع بتنزيلها منزلة الأصول إذ أن المعارضة الحاصلة بذلك للشرع مماثلة للمعارضة الحاصلة له بأمرٍ كلي .

٢- أما القسم الثاني فهو غلو عملي :

وهو المتعلق بالأمور العملية التفصيلية من قول اللسان أو عمل الجوارح مما لا يكون فرعاً عن عقيدة فاسدة ، ومن أصح الأمثلة على ذلك رمي الجمار بالحصى الكبار مثلاً فإن النبي ﷺ عده غلوا كما في حديث ابن عباس الآتي ، وهو غلو عملي لا يترتب عليه اعتقاد ، ومثله المبالغة في العبادة كما يحدث عند بعض الفرق الصوفية التي تبالغ في العبادة وتزيد فيها عما شرع الله عز وجل كوصال الصوم ، وقيام الليل كله ، وما أشبه ذلك.

---

(١) انظر البيان العدد ١١٤ صفر ١٤١٨هـ - يونيو ١٩٩٧م تحت عنوان (الوسطية من أبرز خصائص هذه الأمة) عبدالحكيم محمد بلال.

ولا شك أن الغلو الاعتقادي هو الأخطر لأنه النقطة التي تشعبت عندها الفرق المختلفة في الإسلام ، وظهرت عندها الأهواء ، واختلفت عندها القلوب والعقول ، ثم سلت السيوف فسالت الدماء [١].

التطرف

التطرف في المدلول اللغوي :

طرف الشيء في اللغة ما يقرب من نهايته ، وقيل : ما زاد عن النصف.

فالطاء والراء والفاء أصلان ، فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني: يدل على حركة فيه [٢].

قال الجصاص : طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه ونهايته ، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفا[٣].

التطرف في الاصطلاح :

إن كلمة التطرف أطلقها العلماء قديماً على القول المخالف للشرع، وعلى الفعل المخالف للشرع ، والمتطرف على المخالف للشرع. ومن الأول – المتعلق بالقول – ما ورد في المسودة : "ومن الناس من لا يحكي إلا القولين المتطرفين دون الوسط"[٤].

ومن الثاني – المتعلق بالفعل – ما قاله القرطبي : وتكره القبلة للصائم؛ من أجل ما يخاف عليه من التطرف إلى الجماع والإنزال[٥].

ومن الثالث – المتعلق بذات المتطرف – ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكثيراً ما قد يغلط بعض المتطرفين من الفقهاء في مثل هذا المقام ، فإنه يسأل عن شرط واقف ، أو يمين حالف ، ونحو ذلك ، فيرى أول الكلام مطلقاً أو عاماً ، وقد قيد

---

(١) البيان العدد ٦٧ ربيع الأول ١٤١٤هـ / سبتمبر ١٩٩٣م.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٩٠/٢). تحقيق شهاب الدين أبو عمرو الطبعة الثانية (١٤١٨هـ) ط/ دار الفكر.

(٣) أحكام القرآن للجصاص (أبو بكر أحمد بن علي) (٢٥٠/٣) . ضبط نصه: عبدالسلام شاهين . ط/دار الفكر بيروت .

(٤) المسودة آل تيمية (٢٠٩/١) ط. دار الكتاب العربي بيروت.

(٥) الكافي (ابن عبدالبر القرطبي) (١٢٧/١). ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

في آخره ، فتارة يجعل هذا من باب تعارض الدليلين ، ويحكم عليهما بالأحكام المعروفة للدلائل المتعارضة من التكافؤ والترجيح ، وتارة يرى أن هذا الكلام متناقض لاختلاف آخره وأوله ، وتارة يتلدد تلدد المتحير"[١] .

وقال ياقوت الحموي : إن بعض المتطرفين قرأ : الأكراد أشد كفراً ونفاقاً، فقيل له : إن الآية : ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ ، فقال : إن الله – عز وجل – لم يسافر إلى شهر زور، فينظر إلى ما هناك من البلايا ، المخبآت في الزوايا ، وأنا استغفر الله العظيم من ذلك ، وقد خرج من هذه الناحية من الآجلة والكبراء، والأئمة والعلماء ، وأعيان القضاة والفقهاء ، ما يفوت الحصر عده ، ويعجز عن إحصائه النفس ومده"[٢].

وعلى ذلك يمكن القول : إن المقصود بالتطرف عند العلماء: القائل أو القول، أو الفعل المخالف للشريعة .

المطلب الثاني

كلمات ذات صلة

١ – التنطع :

التنطع في أصل وضعه اللغوي : مأخوذ من النطع ، وهو الغار الأعلى في الفم أو الجلدة الملتزقة بآخر الفك العلوي من الفم ، وبها آثار كالتحزيز، وعندها موقع اللسان في الحنك ، ثم استعمل في كل تعمق قولاً ، وفعلاً ، يقال تنطع في الكلام، إذا تأنق فيه ، وتشدق وتعمق ، وتنطع في الفعل إذا تكلف فيه ، وأتى بما يشق به على نفسه، وعلى غيره[٣].

والتنطع داء لا دواء له إلا بتركك إياه برمته [٤].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٤/٣١). ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) معجم البلدان ياقوت الحموي (٣٧٦/٣). تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ط/ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير ج٤ ص١٥٣.. ولسان العرب لابن منظور ج٨ ص٣٥٨. مادة (نطع) بتصرف.

(٤) إعانة الطالبين على حل ألفاظ المعين للسيد البكري (١٠٤/١). ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٢ – العمق :

لقد أطلق في الدعوة الإسلامية على المتشددين في الدين المتعمقين ، وهذا ما جاء عن رسول الله ﷺ فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس – رضى الله عنه – قال: واصل النبي ﷺ آخر الشهر ، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي ﷺ فقال : لو مد بي الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم ، إني لست مثلكم ، إني أظل يطعمني ربي ويسقين"[١] .

وفي مصنف عبدالرزاق عن ابن سيرين عن عبيدة قال: مر النبي ﷺ عليهم فلم يردوا عليه ، أو قال : فلم يتكلموا ، فسأل عنهم ، فقيل: نذروا أو حلفوا ألا يتكلموا اليوم، فقال النبي ﷺ : "هلك المتعمقون" ، يعني : المتنطعين[٢].

قال صاحب عون المعبود: "هلك المتنطعون" أي: المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم ، قاله النووي. قال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء ، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم [٣].

٣ – التشدد والتعنت والتحمس :

التشدد والتعنت والتحمس بمعنى واحد قال صاحب إعانة الطالبين: التعنت: أي التشدد[٤] . وقال ابن حجر : التحمس هو التشدد ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تحمس تشدد ، ومنه حمس الوغي: إذا اشتد[٥].

---

(١) صحيح البخاري(محمد بن إسماعيل) (٢٦٤٥/٦)، حديث : ٦٨١٤. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) مصنف عبدالرزاق (٤٣٦/٨).الطبعة الثانية تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ط/المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (العظيم أبادي/محمد شمس الحق) (٢٣٥/١٢)، ط/ دار الكتب العلمية بيروت. شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٠/١٦).

(٤) إعانة الطالبين – السيد البكري الدمياطي (١٠/١).

(٥) فتح الباري (٥١٦/٣)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ المباركفوري (٥٣٢/٣). ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤ – الإرهاب :

الإرهاب لغة : التخويف ، قال تعالى : ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ "الأنفال : من الآية ٦٠" ، يعني : تخيفون به عدو الله وعدوكم[١] .

وبعد هذا تبقى كلمة "الغلو" أشد هذه الكلمات معنيً ؛ باعتبار أن الذي يمارسه يكون متجاوزاً للحد المشروع.. ولكن ما هو هذا الحد؟

ومن يقدّر أن فلاناً من الناس قد تجاوزه ؟

وما هو قدر هذا التجاوز ؟

وما هو العقاب الذي ينبغي إيقاعه على المتجاوزين ؟

كل هذه الأسئلة لا تجد عليها اتفاقاً في عالمنا الإسلامي والعربي، فكل دولة لها اجتهاداتها وتطبيقاتها لا بحسب الرؤية الشرعية ، ولكن بحسب الأهواء الشخصية والضغوط السياسية. ففي بعض هذه الدول يصنف المرء على أنه "متطرف" أو من "الغلاة" إذا كان يصلي الفجر في المسجد أو له لحية[٢] ، كما أن المرأة تحصل على التصنيف نفسه إذا كانت تغطي شعرها ولا تختلط بالرجال الأجانب ، مع أن مثل هذه الأعمال تعتبر مشروعة من وجهة نظر الإسلام ، بل هي الأصل وفاعلها "معتدل" ؛ ولكن اختلاط المفاهيم والأهواء الشخصية يجعل الحكم على الأشياء لا يخضع لمقاييس محددة[٣] .

---

(١) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير الدمشقي أبو الفدا (٣٢٣/٢) ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت. وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (٣٨٩/٨)، ط/ دار الكتب العلمية بيروت. وزاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي) (٣٧٤/٣)، ط/ دار الكتب العلمية بيروت. وفتح القدير (تفسير الشوكاني) محمد بن علي الشوكاني. (٣٢١/٢). صححه وضبطه أحمد عبدالسلام. ط/ دار الكتب العلمية بيروت. وانظر : التطرف في الدين دراسة شرعية. د/ محمد عبدالرازق الطبطباني. اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) في بعض الدول الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً يسجن من يواظب على صلاة الفجر في المسجد وتطرد المحجبة من الدراسة أو العمل قال وزير الأوقاف في إحدى الدول أثناء مسابقة للسباحة لطالبات كلية الشريعة: (الآن انتهى التطرف من بلادنا)!!!

(٣) مقالة للأستاذ الدكتور محمد بن علي الهرفي بعنوان : (الغلو والتطرف والإرهاب.. رؤية في المفاهيم) مفكرة الإسلام.

وحديثاً وظّف الكتّاب والإعلاميون مصطلح التطرف في مواجهة بعض المواقف السياسية ، وأحياناً يوظفونه في مواجهة بعض المواقف السلوكية ففي نظر أولئك العلمانيين يُعد من يلتزم بالسنة في صلاته ، وفي لباسه ، وفي تجنبه للمحرمات، يعد هذا عندهم من المتطرفين وكثيراً ما تسخر الكاريكاتيرات في الصحف من أصحاب اللحى الطويلة وأصحاب الثياب القصيرة وكأن تلك السمة عندهم هي رمز التطرف.

إنهم يحاولون أن يحشروا دعاة الإسلام تحت عنوان التطرف ومن ثم يحذرون المجتمعات من خطورتهم.

وقد يوظفونه أحياناً في مواجهة مواقف عقائدية فمثلاً الذي يطلق على النصارى لفظ كفار يعتبر عند بعضهم متطرفاً ، والذي يتحدث عن الحكم الإسلامي والدولة الإسلامية يعتبر متطرفاً . وهكذا.

ومما سبق وبعد تعريف الغلو وبعض مرادفاته المعاصرة ، لابد لنا أن نقول: الغلو هو مجاوزة ما أمر الله به ورسوله ﷺ.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب مبيناً ضابط الغلو: "هو تعدي ما أمر الله به ، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ "طه : ٨١" [١] .

وعلى هذا ليس غلواً الأخذ بالدين على منهج الوسطية والاعتدال ، لا كما يتصور كثير من الكتّاب والإعلاميين والساسة الذين يتعاملون مع الغلو دون فهم صحيح لحقيقته ، حيث يرى كثير منهم أن التمسك بالدين غلو ، وقد نتج عن هذا الفهم الخاطئ أن وجدنا مَنْ ألصق سبب التفجيرات بالمناهج الدينية ، وخطب الجمعة ، والدعاة ، والتعليم الديني ، وحلقات القرآن .. ولم يُبْقِ هؤلاء شيئاً مما يتصل بالدين لم يتهموه بأنه سبب التفجير.

العلاقة بين الغلو والتطرف والإفراط ونحوهما :

---

(١) تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبدالله آل الشيخ – المكتب الإسلامي – الطبعة السابعة (١٤٠٨) (ص: ٣٠٥).

الغلو – في الحقيقة – أعلى مراتب الإفراط في الجملة. فالغلو في الكفن مثلاً هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه.

والغلو أخصّ من التطرف ؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحدّ ، والبعد عن التوسط والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً ، أو بعبارة أخرى: سلباً أو إيجاباً ، زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا ، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر ، وهو الغلو في قول القائل:

لا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلوا إذا بالغ في النقص ، فيقال : غلا في النقص ، كما في قول اليهود جفاء في حق المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام. وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم غلوا. والتطرف : الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو ، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة ، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف أو بمعنى آخر : كل غلو فهو تطرف ، وليس كل تطرفٍ غلواً .

المبحث الثاني

وسطية الدعوة الإسلامية ونبذها للغلو

إن الدعوة الإسلامية دعوة إلى الوسطية ، بين الغلو والتقصير ، والإفراط والتفريط قال الله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ "البقرة : من الآية ١٤٣" قال الجصاص: قال أهل اللغة : الوسط العدل ، وهو الذي بين المقصر والغالي [١].

وهو خطاب لجميع الأمة ، أولها وآخرها ، من كان منهم موجوداً في وقت نزول الآية ، ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة ، كما أن قوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ "البقرة : ١٧٨" ونحو ذلك من الآي ، خطاب لجميع الأمة [٢].

وقال الشوكاني : معنى أمره – سبحانه – بالعدل أن يكون عبادة في الدين على حالة متوسطة ، ليست بمائلة إلى جانب الإفراط ، وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط ، وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين [٣].

ويقول صاحب الظلال يرحمه الله : "إنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.

﴿ **أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ "البقرة : ١٤٣" في التصور والاعتقاد ، لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي ، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح ، وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقَّه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع ، بلا تفريط ولا إفراط ، في قصد وتناسق واعتدال.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (١٠٨/١) ط/ دار الفكر .

(٢) أحكام القرآن المرجع السابق (١١٠/١).

(٣) فتح القدير (١٨٨/٣) .

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في التفكير والشعور ، لا تجمد على ما عملت ، ولا تعلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق ، أو تقلد تقليد القردة الهـ ضحك، إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارها الدائم : الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ، في تثبت ويقين.

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في التنظيم والتنسيق ، لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب ، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب ، وتزاوج بين هذه وتلك ، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان ولكن مزاج من هذا وذاك.

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في الارتباطات والعلاقات لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة ؛ ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا همَّ له إلا ذاته ، إنما تطلق من الدوافع ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو ، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة ؛ وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في المكان في سُرَّة الأرض ، وفي أوسط بقاعها ، وما تزال هذه الأمة التي غَمَرَ أرضَها الإسلامُ إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب ، وجنوب وشمال ، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً ، وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة ، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك ، وتتحكم في هذه الحركة ماديّها ومعنويّها على السواء .

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في الزمان.. تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها ، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها ، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها ، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى ، وتزاوج بين

تراثها الروحي من عهود الرسالات ، ورصيدها العقلي في النماء ، وتسير بها على الصراط السويّ بين هذا وذاك"[١]

وأما الخروج عن هذه الوسطية فهو غلو وخروج عن منهج الإسلام وقد حذر النبي ﷺ من الغلو ، وأنكر علي عبدالله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار ، واجتناب النساء ، وقال له : "أرغبت عن سنتي" ، فقال : بل سنتك أبغي، قال: "لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب في سنتي فليس مني"[٢] .

وقد نهى الله – تبارك وتعالى – عثمان بن مظعون وأصحابه عما عزموا عليه من سرد الصوم ، وقيام الليل ، والاختصاء ، وكانوا قد حرموا على أنفسهم الفطر والنوم، ظناً أنه قربة إلى ربهم ، فنهاهم عن ذلك لأنه غلو في الدين ، واعتداء عما شرع ، فقال عز من قائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ "المائدة /٨٧" والتقدير ولا تحرموا تناول ما أحل الله لكم من الأكل والشرب والنوم والنكاح ، ولا تعتدوا بالاختصاء ، إن الله لا يحب المختصين، أو لا يحب المعتدين بالاختصاء وغيره[٣].

وفى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : "إنها تكون بعدي أثرة ، وأمور تنكرونها. قالوا : يا رسول الله ، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم" [٤].

---

(١) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية . ط/ دار الشروق.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (محي الدين يحيى النووي) (٢/١٠٢٠) ، حديث ١٤٠١. ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام – عز الدين بن عبدالسلام (٢/١٧٤). صححه وضبطه عبداللطيف حسن عبدالرحمن. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) متفق عليه صحيح البخاري واللفظ له كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم ٣٤١٤، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم ١٠٦٤

الفرق بين الاستقامة و(الغلو والتطرف والإرهاب) :

في الحقيقة لا تلازم بين التمسك بهدي الله تعالى ورسوله ﷺ والغلو ؛ فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشدَّ الناس تمسكاً بنصوص الكتاب والسنة ، ومع هذا لم يحصل منهم غلو أو تشديد ، خلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها وعلَّمهم وبيّن لهم طريق العبادة المعتدل ، فانتهوا. وسببه هو موافقة هذا الاستمساك منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح ، وفهم سليم ، وهمة حريصة على العلم والبصيرة ، فنجوا من الغلو فضلاً عن الاستمرار فيه ، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل ، وصار الدين غريباً ، وأطبق الجهل على كثير من أبناء الأمة، صار المتمسك بسنة النبي ﷺ العاضُّ عليها بنواجذه منبوذاً مستهزءاً به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبذ كالمتزمت والمغالي والمتطرف والأصولي والإرهابي.... ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام الخارجية والداخلية!

والواقع أن التمسك بالنصوص ، وفهمها فهماً صحيحاً يعد عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الله وشريعته الغافلين عنها ، غلوا وتطرفا ، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر ، وقصور في إظهار منهج الإسلام.

والملحوظ أن المتمسكين بمدلولات نصوص الكتاب والسنة ، يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفا ، وعند نسبتهم إلى ميزان الهدى الإسلامي لا نجد عندهم معنى التمسك المطلوب ، وهو الاستقامة على أحكام الكتاب والسنة.

فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف والإرهاب أو التشدد، على أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه ، وما أظهروه هو الاعتدال ، وهو في الحقيقة ليس كذلك ؛ إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه. أما الاعتدال والتوسط فهو في دين الله ومنهاج دينه ، ولا يخفى أن يتهم أحداً بالتطرف أو الغلو ونحوهما ، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام ، كما هو الحال فيمن يرمون بالتطرف أو الغلو بعض الدعوات المعتدلة ؟!

أعني أن هذه الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام ، أو لتبين معاني شرعية بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة. فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحتمل ، ومن استعمال المعاني الشرعية في الأغراض الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة!

بداية ظهور الغلو في تاريخ الأمة الإسلامية :

لقد ظهر الغلو في الأمة الإسلامية مبكراً ، وهذا الحديث يبن صورة من الغلو زمن النبي ﷺ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : (بينا النبي ﷺ يقسم جاء ذو الخويصرة التميمي[١] ، فقال : اعدل يا رسول الله ! فقال : ويحك ! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ائذن لي فأضرب عنقه ، قال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في قذذة فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيِّه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل إحدى يديه – أو قال : ثديه[٢] – مثل ثدي المرأة – أو قال : مثل البضعة – تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد رضي الله عنه: أشهد أني سمعته من النبي ﷺ ، وأشهد أن علياً رضي الله عنه قتلهم وأنا معه ، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ)[٣]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وهؤلاء خرجوا على عهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقتل الذين قاتلوه جميعهم مع كثرة

---

(١) فائدة : الذي بال في المسجد هو ذو الخويصرة اليماني ، وقد ذكرته للتفريق بينهما.

(٢) قال الإمام الشوكاني : (واسمه حرقوص بن زهير التميمي ، وقد ذكر حرقوصاً في الصحابة أبو جعفر الطبري ، وذكر أن له في فتوح العراق أثراً ، وأنه الذي افتتح سوق الأهواز ، ثم كان مع على بن أبي طالب في حروبه ، ثم صار مع الخوارج فقتل معهم ، وزعم بعضهم أنه ذو الثدية، ووقع نحو ذلك في رواية للطبري عن أبي مريم ، قال الحافظ : وليس كذلك)! نيل الأوطار (١٧٢/٤). ط/ دار الكتب العلمية بيروت وفي تسميته بذي الخويصرة خلاف طويل.

(٣) متفق عليه صحيح البخاري واللفظ له كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حيث رقم ٣٤١٤ ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم ١٠٦٤.

صومهم وصلاتهم وقراءتهم ، فأخرجوا عن السنة والجماعة وهم قوم لهم عبادة وورع وزهد لكن بغير علم"[١].

وقال أيضا مبيناً خطر من ارتكب بدعة من البدع وهو يظن نفسه أنه على الحق "أما إذا كذب في الدين معتقداً أن كذبه صدق وافترى على الله ظاناً أن فريته حق، فهذا أعظم ضرراً وفساداً ولهذا كان السلف يقولون : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها[٢] ؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم ، ونهى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم ، وكان يجلد رجلاً يشرب الخمر فلعنه رجل ، فقال: (لا تلعنه ، فإنه يحب الله ورسوله) [٣] ، وجاءه ذو الخويصرة التميمي وبين عينيه أثر السجود ، فقال : (يا محمد ! اعدل فإنك لم تعدل ، الحديث[٤]. فهذا المبتدع الجاهل لما ظن أن ما فعله الرسول ليس بعدل كان ظنه كاذباً وكان في إنكاره ظالماً..." [٥]

الغلو أو التطرف ليس متجذراً في أمة الإسلام فقط :

إن من أكبر الظلم والتزوير للتاريخ القول بأن الغلو متجذر في أمة الإسلام فقط ؛ فإن الدول غير الإسلامية هي أشد الدول غلوا وتطرفا ؛ فكلنا يعلم أن دولة القطب الواحد في عصرنا الحالي هي أكثر من استخدمت الأسلحة الكيماوية، وذلك في الحرب الفيتنامية ، حيث قتلت مئات الآلاف من الفيتناميين ، وهي أول من استخدمت الأسلحة النووية في تاريخ البشرية ؛ حيث ألقتها على اليابان "من باب التجربة" وهي أول من صنعت الأسلحة الهيدروجينية ، وكلنا يعلم تسابق أمثال هذه الدول على إنتاج الأسلحة النووية ، ومدى إرهابهم الدول الأخرى بها .

---

(١) مجموع الفتاوى – تقى الدين أحمد بن تيمية – جمع : عبدالرحمن بن قاسم – (٢٨/٥٨٠)

(٢) لأنه يعتقد أنه على الحق ، وإلا لو تاب منها تاب الله عليه .

(٣) صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة حديث رقم ٦٣٩٨.

(٤) سبق ذكره وتقدم تخريجه .

(٥) درأ تعارض العقل والنقل / ابن تيمية (٧/١٨٠ – ١٨١) تحقيق: د. محمد رشاد سالم – جامعة الإمام – الطبعة الثانية (١٤١١).

وها هي عدد من أخبار المنظمات والأعمال الإرهابية التي لم يشارك فيها أي مسلم :

١- أول منظمة إرهابية عرفها التاريخ هي منظمة "السيكاري" التي شكلها بعض المتطرفين من اليهود من طائفة (الزيلوت) الذين وفدوا إلى فلسطين في نهاية القرن الأول قبل الميلاد بهدف إعادة بناء الهيكل الذي عرف بالمعبد الثاني.

٢- وفي نهاية القرن التاسع عشر ظهرت أول بوادر الإرهاب الحديث في روسيا بظهور منظمة "الأرض والحرية" في عام (١٨٧٦م) ، ثم منظمة "الإرادة الشعبية" التي شكلت عام (١٨٧٩م) ، وجعلت الإرهاب جزءاً متكاملاً من العملية الاجتماعية الروسية .

٣- أول استخدام للقنبلة في العمليات الإرهابية كان من جانب الثوار الأيرلنديين في العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، في عملية الفرار من سجن كلير كنوبل في لندن.

٤- عملية نشر غاز الساري في أحد أنفاق طوكيو ، التي ارتكبتها جماعية دينية يابانية متطرفة هي جماعة "اوم شيزيكيو" أو "الحقيقة السامية". وكانت الجماعة مسئولة أيضا عن وقوع حوادث استخدمت فيها عناصر كيميائية غامضة في اليابان في عام (١٩٩٤م) ، ولم تنجح جهودها في شن هجمات باستخدام عناصر بيولوجية .

٥- عملية أوكلاهوما سيتي بالولايات المتحدة التي وقعت في (١٩) إبريل – نيسان (١٩٩٥م) والتي قتل فيها (١٦٨) شخصاً ، قام بها (ديفيد كورش) أحد أعضاء المليشيات البيضاء في الولايات المتحدة الأمريكية.

٦- منظمة الباسيك ، حيث تعمد إلى إلقاء القنابل ، واغتيال مسئولي الحكومة الأسبانية في المقام الأول ، وبصفة خاصة قوات الأمن ، والقوات العسكرية، والسياسيين ، والشخصيات القضائية. وقد قتلت هذه المنظمة أكثر من (٨٠٠) شخص منذ بداية هجماتها القاتلة في أوائل الستينات.

٧- قام الجيش الأحمر الياباني خلال السبعينات بسلسلة هجمات في جميع أنحاء العالم، ومنها المذبحة التي وقعت عام (١٩٧٢م) في مطار اللد في إسرائيل،

واختطاف طائرتي ركاب يابانيتين ، ومحاولة الاستيلاء على السفارة الأمريكية في كوالالمبور.

٨- قامت الحركة بعدة حوادث إطلاق نار على فلسطين من الضفة الغربية ، مما أدى إلى مقتل أربعة أشخاص وجرح اثنين في عام (١٩٩٣م). وكذلك المذبحة التي قام بها الدكتور (باروخ غولدشتاين) في المسجد الإبراهيمي في الخليل في شباط / فبراير عام (١٩٩٤م).

٩- قام حزب العمال الكردستاني باستهداف قوات الأمن التابعة للحكومة التركية في تركيا ، كما قام أيضاً بمحاولات ضد أهداف تركية في أوروبا الغربية، فقد شن هجمات ضد دبلوماسيين أتراك ومرافق تجارية في عشرات من مدن أوروبا الغربية عام (١٩٩٣م) ومرة أخرى في ربيع عام (١٩٩٥م).

وفى محاولة لتخريب صناعة السياحة التركية فجَّر حزب العمال الكردستاني قنابل في مواقع سياحية وفنادق ، واختطف سائحين أجانب.

١٠- قامت (نمور تاميل) باستهداف موظفي الحكومة السيرلانكية ، وكبار القادة السياسيين والعسكريين السريلانكيين في كولومبو ، وقد أصبحت الاغتيالات السياسية والتفجيرات التي تقوم بها منظمة (نمو تاميل) أمراً مألوفاً ، بما في ذلك الهجمات الانتحارية ضد رئيس سريلانكا (راناسينغ بريماداسا) عام (١٩٩٣م) ، ورئيس وزراء الهند (راجيف غاندي) عام (١٩٩١م).

غير أن الإرهاب في مظهره الحديث كان من ابتداع الثورة الفرنسية التي قامت في عهد (روبيسير وجان جيست) بقطع رءوس (١٤٠) ألف فرنسي وسجن (٣٠٠) ألف آخرين. وعرفت أوروبا خلال مرحلة الحرب الباردة منذ بداية خمسينيات القرن العشرين ما سمي بالإرهاب الأحمر اليساري ، الذى ارتبط بالتنظيمات الشيوعية التي وجهت عملياتها ضد الدول الغربية ، وضد الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة.

كما عرفت أوروبا ما سمي بالإرهاب الأسود الذي ارتبط بالتنظيمات الفاشية والنازية في إيطاليا وألمانيا والنمسا ، وعرفت كذلك الإرهاب الانفصالي الذي تقوم به

إحدى الجماعات الانفصالية بهدف تحقيق أقلية معينة تقطن إقليماً معيناً عن الدول الأم، كما في حالة الجيش الجمهوري الأيرلندي في بريطانيا ، وحركة (آيتا) في إقليم الباسك في أسبانيا ، وحزب العمال الكردستاني في تركيا.

ومنذ بداية الستينات عانى المجتمع الدولي من أشد العمليات الإرهابية خطورة وقسوة ، وهي تلك التي تمارس ضد الطائرات المدنية التي تستخدم لنقل الركاب بين الدول، حيث يتم السيطرة عليها وإجبارها بالقوة على تغيير مسارها وحجز ركابها داخلها لتحقيق مطالب معينة لخاطفيها ، الذين أطلق عليهم (قراصنة الجو) ، وقد كان أول حادث لاختطاف طائرة مدنية في البيرو عام (١٩٣٠م) ، غير أن هذه الظاهرة لم تستفحل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين .

وقد كانت المنظمات الإرهابية خلال السبعينات إما يسارية أو فوضوية ، وهي حركات تسعى الحكم ، وأشهرها (الألوية الحمراء) في إيطاليا ، و(بادرماينموف) الألمانية ، و(لواء الغضب) البريطانية ، و(العمل المباشر) الفرنسية، و(توبا ماروس) في أمريكا الجنوبية.

وقد استخدمت هذه التنظيمات العنف ضد الحكومات ، وذلك بالهجوم على أهداف مختارة من المنشآت أو الأشخاص[1].

---

(١) الإرهاب – مختار شعيب ، وانظر : موقع وزارة الخارجية الأمريكية ؛ تقرير المنظمات الإرهابية الأجنبية . تصنيف وزارة الخارجية الأمريكية. نقلاً عن جذور الغلو / عبدالرحمن الهرفي ط/ دار ابن الجوزي.

المبحث الثالث

أسباب ظهور الغلو أو التطرف

للغلو أسباب كثيرة ، ولكني سأحاول التركيز على أشدها وأهمها في عالمنا الإسلامي ، وحينما نتلمس للغلو أو التطرف أسبابه المباشرة وغير المباشرة ، والداخلية والخارجية ، فهذا لا يعني تسويغ التطرف ، ولا تبرئة المتطرف والاعتذار له ، وهذا لا يناقض الإدانة ، وليس بنا من ضرورة للتذكير بهذا ؛ لولا ما نراه من بعض الجهات الإعلامية من سعي حثيث محموم لتوسيع دائرة الاتهام ، ومن محاولة خبيثة لجمع من يسمونهم "بالإسلاميين" جميعاً في قفص الاتهام.

ونتيجة لذلك يشعر بعض من يتحدث عن القضية بأن نظرات الارتياب تلاحقه وتحيط به ، ومن ثَم يرى أنه معنيٌ بتبرئة نفسه من التأييد أكثر مما هو معنيٌ بالمشاركة في معالجة الظاهرة! ويصبح هاجس الخوف من الاتهام بتسويغ الجريمة يمنعه من التصريح بتحميل بعض الأطراف في المجتمع جزءاً من المسؤولية[1] . [وإذا لم يكن ثمة صراحة وصدق في بحث المشكلة ودراستها والنظر في علاجها فيخشى أن يطول حسمها] .

إن الغلو أو التطرف لم يأت اعتباطا ،ولم ينشأ جزافا ، بل له أسبابه وبواعثه، التي ينبغي معرفتها ، حتى يحدد نوع العلاج ، وصفة الدواء إذ لا علاج إلا بعد تشخيص ، ولا تشخيص إلا ببيان الأسباب.

ومن الإنصاف في معرفة هذه الأسباب أن تكون مبنية على نظرة متكاملة، فلا يركز على سبب ، ويترك أسباباً أخرى لغرض في النفس ، كما يصنع أحياناً بعض المنتمين إلى مدرسة معينة .

(فلا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد ، يبرز أمامنا ، ويطغى على غيره من الأسباب. فالواقع أن الظاهرة التي بين أيدينا ظاهرة مركبة ، معقدة ، وأسبابها كثيرة

(١) وقفات حول حادثة التفجير – سامي بن عبدالعزيز الماجد – موقع صيد الفوائد.

ومتنوعة ، ومتداخلة ، بعضها قريب ، وبعضها بعيد ، بعضها مباشر ، وبعضها غير مباشر ، بعضها ماثل للعين ، طاف على السطح ، وبعضها غائص في الأعماق.

من هذه الأسباب ما هو ديني ، وما هو سياسي ، منها ما هو اجتماعي ، وما هو اقتصادي ، ومنها ما هو نفسي ، وما هو فكري ، وما هو خليط من هذا كله أو بعضه.

قد يكمن سبب هذه الظاهرة – أو السبب الأول لها – في داخل الشخص المتطرف نفسه ، وقد يكون السبب أو بعضها عند البحث ، داخل أسرته ، عند أبويه وأخوته وعلاقاته بهما ، وعلاقاتهم بعضهم ببعض.

وقد يرجع السبب عند التحليل والتعمق إلى المجتمع ذاته ، وما يحمل في طيه من تناقضات صارخة : بين العقيدة والسلوك .. بين الواجب والواقع.. بين الدين والسياسة.. بين القول والعمل .. بين الآمال والمنجزات .. بين ما شرعه الله وما وضعه البشر.

ومثل هذه المتناقضات إن احتملها الشيوخ لا يحتملها الشباب ، وإن احتملها بعضهم لا يحتملها كلهم ، وإن احتملوها بعض الوقت ، لن يحتملوها كل الوقت .

وقد يعود السبب إلى فساد الحكم ، وطغيان الحكام ، وجريهم وراء شهواتهم، وتفريطهم في حقوق شعوبهم. واتباعهم أهواء بطانة السوء في الداخل ، والحاقدين على الإسلام في الخارج [1].

والذين يحاربون الغلو – أو ما يسمونه التطرف – لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت ستفرز – ولابد – نبتة خبيثة كهذه ، ومن أبرزها:

(١) انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د/ يوسف القرضاوى ص ٦٢-٦٣ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ١٩٩٢م ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

أولاً : الجهل وعدم معرفة حكم الله تعالى ورسوله ﷺ :

ولا أعني بالجهل هنا أن هؤلاء المعنيين عوام لا يفقهون شيئاً ، بل قد يكون بعضهم ممن يحمل العلم الشرعي ، ولكنه [اعتقد أنه بلغ في العلم شأناً فأخذ يفتي بنفسه ولا يسأل غيره في المسائل الكبار ، كالتفجير ، وقتل الناس ، وهذا كله من الجهل] .

يقول الشيخ القرضاوى مبينا كنه هذا الجهل : (ولا أعني السبب: الجهل المطلق بالدين ، فهذا في العادة لا يفضي إلى غلو وتطرف ، بل إلى نقيضه، وهو الانحلال والتسيب ، إنما أعني به : نصف العلم ، الذي يظن صاحبه أنه دخل في زمرة العالمين ، وهو يجهل الكثير والكثير ، فهو يعرف نتفا من العلم من هنا وهناك وهنالك، غير متماسكة ، ولا مترابطة ، يُعني بما يطفوا على السطح ، ولا يهتم بما يرسب في الأعماق ، وهو لا يربط الجزئيات بالكليات ، ولا يرد المتشابهات إلى المحكمات ، ولا يحاكم الظنيّات إلى القطعيّات ، ولا يعرف من التعارض والترجيح ما يستطيع به أن يجمع به بين المختلفات ، أو يرجح بين الأدلة والاعتبارات) [١]

ويلاحظ على كثير من أرباب هذا الفكر أمور منها :

الأول : عدم الأخذ عن العلماء الراسخين ، فتجد أحدهم أستاذه كتابه ، ويحتج بقول ابن سيرين رحمه الله : "إن هذا العلم دين فانظر عمن تأخذ دينك"[٢] ، [فيترك طلب العلم على المشايخ ؛ لأنهم في نظره لا يصلح الأخذ عنهم] [٣].

وقد تكون لديه الرغبة في تحصيل العلم ، أو البحث في شتى المعارف ، لكن لا دراية له بالطريق ، فيأخذ في الاعتماد على نفسه من أول الأمر في تحصيل هذا العلم، أو هذه المعرفة ، ويجعل جل اهتمامه الكتب ، فتجنح به هذه الكتب نحو الغلو والتطرف ، نظرا لأن الكتاب وجهة ، أو وجهات نظر صامتة ، لا تمد له القدرة على رد التساؤلات التي تثيرها قراءة هذا الكتاب ، أو التي يثيرها الواقع نفسه.

---

(١) الصحوة الإسلامية مرجع سابق ص ٦٤.

(٢) مقدمة صحيح مسلم (١٤/١) .

(٣) انظر : البيان لأخطاء بعض الكتاب – أ.د. صالح الفوزان – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى (١٤٢٥) – (١٣٨/٢) .

ومن ثم لا تتاح له فرصة المراجعة والمناقشة ، والأخذ والرد ، (واختبار فهمه ومعلوماته ووضعها على مشرحة التحليل ، وطرحها على بساط البحث .. ولكنه قرأ شيئاً وفهمه واستنبط منه ، وربما أساء القراءة ، أو أساء الفهم ، أو أساء الاستنباط ، وهو لا يدر . وربما كان ثمة معارض أقوى وهو لا يعلم ، لأنه لم يجد من يوقفه عليه، وغفل هؤلاء الشباب المخلصون أن علم الشريعة وفقهها لابد أن يرجعوا فيه إلى أهله الثقات ..... وهذا ما جعل علماء السلف يحذرون من تلقي العلم عن هذا النوع من المتعلمين ، ويقولون : لا تأخذ القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صُحُفي. يعنون بالمصحفي : الذي حفظ القرآن من المصحف فحسب ، دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين.

ويعنون بالصحفي : الذي أخذ العلم من الصحف وحدها من غير أن يتتلمذ على أهل العلم ، ويتخرج على أيديهم [١].

فينبغي تلقي العلم على يد المربيين والموجهين من المتخصصين، لسعة إطلاعهم ، وتجربتهم ، وبصيرتهم النافذة حيث يمكنهم الرد على كل ما يعن له من تساؤلات، وتفنيد ما يرد عليهم من شبهات.

إن من أراد طريق العلم "لابد أن يكون سلوك هذه الطريق خلف أئمة أهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم ، كالشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ومن سلك سبيلهم، فإن من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقتهم وقع في مفاوز ومهالك، وأخذ بما لا يجوز الأخذ به وترك ما يجب علمه"[٢]

ثانياً : ادعاء أن الجهاد مصلحة مطلقاً ، فإن من علامات الجهل أن يدعي البعض أن الجهاد في سبيل الله مصلحة مطلقاً ، حتى قال بعضهم : أليس الجهاد عبادة؟ فدعونا نعبد ربنا !! [٣]

---

(١) الصحوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩١ – ٩٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي (٢٤٢/١ – ٢٤٣) بتحقيق خليل منصور ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) (من المعلوم أن الجهاد لم يشرع لذاته وليس مطلوبا لما فيه من إراقة دماء ، بل هو مشروع لغيره ولتحقيق مصالح مشروعة من نصرة الدين ، وإزالة القشرة) مبادرة وقف العنف – أسامة حافظ وعاصم محمد (٥٨) مكتبة .

ولا يختلف على ذلك مسلمان فالجهاد عبادة من أجلِّ القربات ، ولكن ليس دائماً تكون المصلحة في الجهاد ، ولذا شرع الله تعالى الهدنة وأمر الناس بالصبر والكف عن المشركين ، والجهاد كما يقول العلماء حسن لغيره: ف "الجهاد ليس إلا للإيمان وإقامة الصلاة ، فكان حسناً لغيره والصلاة حسنة لعينها" [١]. وأنقلُ بعض ما قاله السادة العلماء في الجهاد ؛ حتى تصحح خطأ من زعم أن حمل السلاح على كل دولة لم تحكم شرع الله هو المتعين دائماً ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فقوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ [المائدة : ١٣] ، وقوله تعالى﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ، وقوله تعالى :﴿ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة : ١٠٩] تلك الآيات صارت في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه ، فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه ، وصارت آية الصغار على المعاهدين وهي قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة : ٢٩] في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه ، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله (ﷺ) وعلى عهد خلفائه الراشدين ، وكذلك هو إلى قيام الساعة ، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف ؛ فليعمل بآية الصبر والصفح ممن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين ، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون"[٢] .

بل إن الله سبحانه "نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد وأمرهم بالعفو والصفح ؛ لئلا يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسدة

---

(١) حاشية ابن عابدين (حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) (١٢٠/٤) دار الفكر للطباعة والنشر.

(٢) الصارم المسلول علي شاتم الرسول لابن تيمية وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ط/ دار الكتب العلمية بيروت ج٣ (ص ١٣) .

الإغضاء واحتمال الضَّيْم ، ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة" [١].

وكلام كثير من هؤلاء الغلاة أن جهاد الكفار هو المصلحة دائماً ، ولو كان المسلمون هم الأضعف والأقل عدداً وعُدداً .

ثالثاً : عدم التفريق بين التكفير العام وتكفير المعين ، وعدم التفريق بين معين وآخر في إيقاع التبديع أو التفسيق أو التكفير ، فأهل السنة يشددون النكير في مسائل الفكر ، ويطلقون عبارات التكفير على من وقع في أمر معين [على صفة العموم] ، ولكن تنزيله على المعين أمر آخر ، فقد يعذر بعضهم دون الآخر ، أما هؤلاء الغلاة فإنه لو وقع أحد العلماء الراسخين الزاهدين الداعين إلى الكتاب والسنة المحققين للتوحيد في خطأ معين ، ووقع فيه آخر ممن عرف بالفسق والفجور والوقوع في الشركيات ؛ نجد أنهم لا يفرقون بين الاثنين ، زاعمين أن الأول الذين يعرف التوحيد أحرى بالتكفير !!

وكل هذا يعرف بملازمة الراسخين في العلم ، والصبر عليهم ، وأخذ العلم شيئاً فشيئاً ، ولا يعرف بمطالعة الكتب دون المشايخ.

قال ابن الوزير رحمه الله : "وكم بين إخراج عوام فرق الإسلام أجمعين ، وجماهير العلماء المنتسبين إلى الإسلام من الملة الإسلامية ، وتكثير العدد بهم ، وبين إدخالهم في الإسلام ونصرته بهم وتكثير أهله ، وتقوية أمره ، فلا يحل الجهد في التفرق بتكلف التكفير لهم بالأدلة المعارضة بما هو أقوى منها أو مثلها مما يجمع الكلمة، ويقوي الإسلام ، ويحقن الدماء ، ويسكن الدهماء ؛ حتى يتضح كفر المبتدع اتضاح الحق الصادق ، وتجتمع عليه الكلمة ، وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة ، وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله ، وتعظيمهم لله تعالى بتكفير عاصية ، فلا يأمن المكفّر أن يقع في مثل ذنبهم ، وهذا خطر في الدين جليل ، فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل"[٢] .

---

(١) إعلام الموقعين تحقيق مشهور حسن آل سلمان ج٥ ص٦ ط/ دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

(٢) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص : ٤٥٥) ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

ويؤكد هذا المعنى – وهو عذر من اجتهد في طلب الحق فأخطأ – شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : "الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائناً ما كان ، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية ، هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ ، وجماهير أئمة الإسلام"(١).

ومن ثم يندفع الإنسان وراء عاطفته ، وقد يكون هذا الإنسان غيوراً معظماً للحرمات شديد الخوف من الله عز وجل، فإذا رأى إنساناً يعصي ولو كانت معصية صغيرة لم يطق أو يتصور أن يكون هذا الشخص مسلماً أو مغفوراً له أو من أهل الجنة لشدة غيرته فيؤدي به ذلك إلى لون من الغلو ، أو التطرف. (ولا يمكن أن نقول: إن المجتمع الإسلامي مجتمع صفوي – بالمعنى الشائع اليوم – الكل فيه على درجة واحدة من التقوى ، والورع ، والعلم ، والعمل ، والإيمان .. ومن استقرأ المجتمع الإسلامي على عهد النبوة ، وعصر الوحي المعصوم ، وزمان الخلافة الراشدة ، وحال التابعين بإحسان من القرون المفضلة ، يدرك تمام هذا الأمر .

بل يتضح لكل عالم بالسنة ، قارئ للقرآن ، أن الصفوية – بالمعنى المراد لها اليوم – في أي مجتمع أرضي غير كائنة .. يستحيل أن يكون في الأرض مجتمع صفوي بهذا المعنى : لا يذنب فيه أحد ، ولا يخطئ فيه أحد ، ولا يجرم فيه أحد ، ولا يأثم فيه أحد ، ولو كان المجتمع مجتمعاً قرآنيا ، ولنا في جيل خير القرون ، المثال والأنموذج.

وليس هذا مقصود الشارع ولا هدف الدعوة ، وإنما يريد الله ويقصد الشرع إلى إيجاد مجتمع يغلب فيه الحق على الباطل وناصريه – أي مع وجود الباطل – ويتغلب فيه الخير ويقل الشر ، ويظهر الطيب ، وينكمش الخبيث ... وهكذا) (٢).

---

(١) الفتاوى (٣٤٦/٢٣ ، ٣٤٨ – ٣٤٩) ، وهذا لا يعارض الرد على المخطئ بأدب وعلم.

(٢) من مرتكزات الخطاب الدعوي عبدالله الزبير عبدالرحمن ص ٤٢ – ٤٣. كتاب الأمة العدد ٥٦ ذو القعدة ١٤١٧هـ.

ولكن هل يمكن إزالة الجهل ، أقول نعم لأن الجهل يزول بالعلم ، ولهذا كان كثير من الخوارج الأوائل يرجعون عن بدعتهم بالمناظرة بل رجع منهم على يد عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – لما أرسله على بن أبي طالب لمناقشتهم – رجع منهم في مجلس واحد – أكثر من أربعة آلاف إنسان وفي عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد – رضي الله عنه – نوقشوا فرجع منهم ما يزيد على ألف إنسان في مجلس واحد ولهذا فالجهل من أسهل الأسباب علاجاً لأنه سرعان ما يزول بالعلم والتعليم، وقد يكون الجهل جهلاً بالدليل لعدم الإطلاع عليه سواء أكان آية أو حديثاً وقد يكون جهلاً بطرق الاستنباط من هذا الدليل لعدم المعرفة باللغة العربية أو القواعد الأصولية أو غيرها. (١)

رابعاً : الهوى المؤدى إلى التعسف في التأويل ورد النصوص

وقد يكون الهوى لغرض دنيوي من طلب الرئاسة مثلاً أو الشهرة أو نحوه، وقد يكون الهوى لأن الغلو أو التطرف سبق إلى عمق الإنسان وقلبه واستقر فيه وتعمقت جذوره ورسخت ، وكما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

فيعز على الإنسان حينئذ أن يتخلى عنه ، ويصعب عليه أن يقر على نفسه بأنه كان متحمساً للباطل مناوئا للحق ، فيتشبث بخطئه ويلتمس له الأدلة من هنا وهناك ، وقد يكون الهوى لأن هذا الإنسان الغالي ذو نفسية مريضة معتلة منحرفة فهي تميل إلى الحدة والعنف والعسف في مواقفها وآرائها وتنظر دائماً إلى الجانب السلبي ، الجانب المظلم من الآخرين وقد يشعر صاحبها بالعلو والفوقية دون أن يدرك ذلك من نفسه، وقد يحس بأنه أتيح له في وقت يسير ومبكر من العلم والفهم والإدراك ما لم يتح لغيره في أزمنة طويلة ، وعند ذلك يفقد الثقة بالعلماء المعروفين والدعاة المشهورين ، ويستقل الإنسان بنفسه ورأيه فينتج عن ذلك الشذوذ في الآراء والمواقف والتصورات والتصرفات (٢).

---

(١) مجلة البيان العدد ٦٧ ، مرجع سابق .

(٢) انظر البيان العدد السابق وانظر : الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د/صلاح الصاوي كتاب المنتدى مطابع أضواء البيان سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

وقد يكون عند البعض من الشباب بسبب البيئة المحيطة به ، أو عدم وجود موجه ومربي يرشدهم ، ويوجههم إلى بعد النظر ، واتساع الأفق ، استعداداً نفسياً ، وتكويناً فكرياً ، فيقعون بسبب ذلك في آفة الغلو والتطرف ، والتنشئة على الوقوف عند القشور والشكليات ، مهملين الجوهر واللباب.

خامساً : البيئة وأحوال المجتمع :

إن البيئة الغالية المتطرفة ، أو المستخدمة في الشدة والضغط والإكراه سبب رئيس من أسباب نشأة الإنسان متطرفاً أو مغالياً ، سواء أكانت البيئة المحيطة بالفرد ، أي –البيت–، أو البيئة الأوسع وأعني بها المجتمع من أصحاب وأصدقاء ، وغير ذلك

(ومن الخطأ الكبير. أن نعتقد أن المتطرف شجرة نبتت في الصحراء – لا – بل هو فرع عن شجرة ، وهو جزء من مجتمع عاش فيه ، ولهذا المجتمع في نفسه وتفكيره وعقله أعظم الأثر ، فمثلاً : التطرف في الانحراف يؤدي إلى تطرف مقابل ، سواء الانحراف الفكري أو الانحراف العملي ولذلك فالذين يَجرّون المجتمعات الإسلامية إلى الفساد والانحلال الخلقي هم في الحقيقة من المتسببين ، في حصول الغلو وإن أعلنوا الحرب عليه وعلى ما يسمونه بالتطرف إلا أنهم من أول المتسببين فيه، فمظاهر الرذيلة في المدرسة والجامعة والشارع والشاطئ والمتجر والحديقة والشاشة والإذاعة وغير ذلك إذا أقرها المجتمع وسكت عنها فإنه يجب عليه أن يستعد للتعامل مع أنماط كثيرة من الغلو ، فما بالك إذا كان دور المجتمع بكليته هو تشجيع مظاهر الانحراف ودعمها وحمايتها وحراستها وتبنيها ، سيكون الأمر ولا شك أخطر وقل مثل ذلك في الأوضاع الثقافية والإعلامية ، فمحاصرة فكرة من الأفكار مثلاً وإغلاق منافذ التعبير والكلام أمامها في مختلف الوسائل الإعلامية هو سبب لأن تتبلور لدى هذه المجموعة فكرة الغلو أحياناً أو على الأقل فكرة المواجهة والسعي لإثبات الذات ومن الغريب جداً أن الإعلام العربي خاصة يتهم من يسميهم المتطرفين بأنهم لا يتسامحون مع غيرهم أو أنهم يسعون لإسكات الأصوات الأخرى التي تخالفهم ، مع أننا نعلم أن هؤلاء الناس لا يملكون شيئاً أصلاً لا يملكون أجهزة الإعلام ولا الصحافة ولا المنابر ، بل الكثير منهم لا يملكون حق الاجتماع بعشرة أو أقل من هذا العدد ، فكيف يقال عنهم إنهم يقفلون منافذ التعبير على غيرهم ؟!

والواقع أن هذا الإعلام المهيمن هو الذي أصبح حكراً لاتجاه معين أو مذهب خاص أو طائفة محدودة وأصبح يبخل على الآخرين ببضعة أسطر أو ببضع دقائق فضلاً عن أن يساويهم بغيرهم في كافة الأجهزة الإعلامية ، فقد صودرت الآراء النزيهة المعتدلة فضلاً عن الآراء الغالية أو المتطرفة ، ومثل هذا الوضع لابد أن يولد آلاف الأمراض في المجتمعات.

وكذلك الأمر بالنسبة للأوضاع السياسية ، فإن الكبت والسلط والقهر لا يمكن إلا أن يؤدي إلى قتل إنسانية الشعوب والقضاء على كرامتها وليس هذا فحسب بل يؤدي مع الزمن إلى أن تفقد الثقة بقيادتها ، ثم تعمل في الاتجاه المضاد ، وتعتبر هذه القيادات ضد مصالح الأمة وأنها عقبة في سبيل الإنجاز لابد من تجاوزها.

إنك تعجب من دول يرد في دساتيرها أن الدين هو الإسلام ثم لا تسمح للتعبير الإسلامي بأي قناة وربما اعتبرت إعلان الأذان في التلفاز نوعاً من الاقتحام الأصولي لأجهزة الإعلام [1].

إن غربة الإسلام في ديار المسلمين يعمل عمله في نفسية المسلم الملتزم المتمسك بتعاليم دينه في هذا العصر ، وخصوصاً في مراحل الشباب.

(ذلك أنه يرى المنكر يُستعلن ، والفساد يستشري ، والباطل يتبجح ، والعلمانية تتحدث بملء فيها ، والماركسية تدعو إلى نفسها بلا خجل ، والصليبية تخطط وتعمل بلا وجل ، وأجهزة الإعلام تشيع الفاحشة ، وتنشر السوء. يرى النساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات ، ويرى الخمر تشرب جهارا ، وأندية الفساد تجعل الليل نهارا. يرى المتاجرة بالغرائز في أشدها ، من أدب مكشوف ، وأغاني خليعة ، وصور فاجرة ، وأفلام داعرة ، وتمثليات ومسرحيات ووو.. كلها تصب في نهر الإغراء بالفسوق والعصيان ، والتعويق عن الإسلام والإيمان [2].

إن تعطيل شرع الله في الأرض ، وما نتج عنه من انتشار وشيوع الشر والفساد وراء الوقوع في آفة الغلو والتطرف ، كرد فعل مضاد لذلك ، على نحو ما

---

(١) انظر : البيان العدد السابق. (بتصرف)

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د/ يوسف القرضاوى ١١٠ – ١١١.

وقع لشريحة من شباب أمتنا الإسلامية في هذا العصر ، بعدما رأى شرع الله معطلا، والشر والفساد على أشده ، فحمله حبه لدينه ، وحرصه على مرضاة ربه ، وجرته حماسته ، أن ينبري للعمل وحده دون أن يكون معه من يوجهه أو يرشده ، فتردى في آفة الغلو أو التطرف .

(إن الله تعالى توعد المسلمين بعقوبات شديدة إن انتشرت بينهم المعاصي بغير نكير ، فقال سبحانه وتعالى :﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [الأنعام:١٢٣] وقال جل جلاله :﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ [الإسراء: ١٦]، والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال والخدم والراحة، فينعمون بالدعة والراحة وبالسيادة ، حتى تترهل نفوسهم وتأسن ، وترتع في الفسق والمجانة ، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات ، وتَلِغ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها ، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها ؛ ومن ثَمَّ تتحلل الأمة وتسترخي ، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها ، فتهلك وتطوي صفحتها.

والآيات تقرر سنة الله هذه ، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة ؛ لأنها أخذت بأسباب الهلاك ، فكثر فيها المترفون ، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم – سلّط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعمَّ فيها الفسق ، فتحللت وترهلت ، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك ، وهي المسئولة عما يحل بها ؛ لأنها لم تضرب على أيدي المترفين ، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين ، فوجود المترفين هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا ، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك ، وما سلّط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك .

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف ، وسنناً لا تتبدل ، وحين توجد الأسباب تبعها النتائج ، فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته [١].

وإن السكوت عن الذنوب الخاصة ، مثل : عدم متابعة الفسقة المفسدين كصناع الخمر ، أو الفاسقات ممن تعرض نفسها للزنا بدعوى الحرية ، فإن المطلوب من ولي الأمر حفظ دين المسلمين ، كما هو مطلوب منه حفظ أمور دنياهم ممن يتعدى عليها.

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فإن الله تعالى لم يبعث الأنبياء – عليهم السلام – إلا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، وأعظم معروف هو التوحيد وأعظم منكر هو الشرك ، فهو أهم واجب على ولاة الأمر ؛ لأن به يستقيم أمر الناس.

وأنبه إلى أمر قد يخفي على البعض : ألا وهو أن المطلوب منا شرعاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن لم نأمر بإزالة المنكر ، فقد لا يستطيع المسلم إزالة المنكر ولكن لا يسعه ترك إنكاره ، وهذا حجة على المتخاذلين ممن ترك هذه الشعيرة بدعوى أنه لن يغير المنكر [٢].

سادساً : اتباع المتشابهات وترك المحكمات :

إن إتباع المتشابهات من النصوص ، وترك المحكمات البينات ، هذا لا يصدر من راسخ في العلم ، إنما هو شأن الذين في قلوبهم زيغ ﴿ **فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ** ﴾ [آل عمران : من الآية ٧]

والمقصود بالمتشابه : ما كان محتمل المعنى ، وغير منضبط المدلول ، وبالمحكم: البين المعنى ، والواضح الدلالة ، المحدد المفهوم .

إن المغالي أو المتطرف في هذا العصر ، تجده يعتمد على المتشابهات في تحديد كثير من المفاهيم الكبيرة التي رتب عليها نتائج خطيرة ، بل بالغة الخطر ، في

---

(١) في ظلال القرآن عند تفسير الآيات السابقة (بتصرف) .

(٢) انظر : نصاب الاحتساب – عمر بن عوض السنامي – تحقيق : د.مريزن عسيري – هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر = د. خالد السبت – المنتدى الإسلامي – الطبعة الأولى (١٤١٥هـ)

الحكم على الأفراد والجماعات ، وتقويم ، وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والبراء، والحب والعداء ، واعتبارهم مؤمنين يُتولون ، أو كفارا يقاتَلون .

وهذه السطحية في الفهم ، والتسرع في الحكم ، وخطف الأحكام من النصوص خطفا دون تأمل ولا مقارنة – نتيجة لترك المحكمات البينات ، واتباع المتشابهات المحتملات – هي التي جعلت طائفة الخوارج قديماً تسقط في ورطة التكفير لمن عداهم من المسلمين[١] فإذا لم يحسن الشباب الفهم من القرآن والسنة عن الله تعالى ورسولهﷺ، ولم يقفوا طويلا عندهما دارسين فاحصين ، متأملين متفقهين ، جامعين بين أولها وآخرها، وموفقين بين مثبتها ونافيها ، ومقرنين بين مطلقها ومقيدها ، وخاصها وعامها، مؤمنين بها جميعها ، محسنين الظن بها كلها – محكمها ومتشابهها – إن لم يفعلوا ذلك فما أسرع ما تضل راحلتهم ، ويعمى عليهم طريقهم ، وتضيع منهم غايتهم، فيشرقون مرة ويغربون أخرى على غير بصيرة ، ويخبطون خبطا عشوائياً في ليال مظلمة .

وهذا هو الذي وقع فيه دعاة الغلو والتطرف قديما وحديثا ، وقد أشار المعصوم ﷺ إلى هذا ، فيما رواه (عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول اللهﷺ يقول إن الله لا يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[٢] .

والسبب في ذلك (هو الجهل بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت ، أو الأخذ فيها بالنظر الأول ، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم ؛ ألا ترى إلى الخوارج كيف خرجوا عن الدين كما يخرج السهم من الصيد المرمي ؟ لأن رسول الله ﷺ (وصفهم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) يعني – والله أعلم – أنهم لا يتفقهون به حتى يصل إلى قلوبهم ، لأن الفهم راجع إلى القلب ، فإذا لم يصل

(١) أنظر في ذلك الصحوة الإسلامية مرجع سابق ٨٦ – ٩١ .

(٢) متفق عليه صحيح البخاري واللفظ له كتاب العلم باب كيف يقبض العلم حديث رقم ١٠٠، ومسلم كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان حديث رقم ٢٦٧٣.

إلى القلب لم يحصل فيه فهم على حال ، وهذا يقف عند محل الأصوات والحروف فقط، وهو الذي يشترك فيه من يفهم ومن لا يفهم) [١].

سادساً : الأخذ أو التلقي عن الجاهلين مع خلو الساحة من العلماء أصحاب الرسالة والخبرة .

وقد تكون لدى بعض الشباب الرغبة في تحصيل العلم ، ولا يعرف على يد من يتلقى هذا العلم ، فيسوقه قدره إلى من لا بصيرة عنده ، ولا دراية ، إلى من يعلمه بطريقة تلقائية عفوية ، يقوم على أمرها كل غيور متحمس ، دونما انطلاق من فقه عليم، أو منهج مدروس ، ظنا منه أنه يقدم الدعوة الإسلامية بأحسن مقال ، أملا في الدخول في زمرة من قال الله تعالى فيهم : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت : ٣٣] .

غير أن هذه العفوية والتلقائية ، لم تنضج فهما للدعوة الإسلامية كما ينبغي، ولم تؤت ثمارها كما يراد لها .. وما ذلك إلا لافتقاد الأصول التي يجب أن تبنى عليها دعوة الإسلام ، والفقه الذي يجب أن يسعى على متنه كل داعية همام يبشر بهذه الدعوة.

لهذا يجب على من تعين عليه التصدي لأمر الدعوة ، أن يجتهد في الأخذ عن الأئمة الذين أخذوا بأسبابها ، وسعوا لاكتساب فنها ، وتشربوا بفقهها ، حتى يكون ذا مهارة ودراية قبل أن يدع عن هواية .

إن الكثير صار داعية ، دونما أدوات أو مقومات ، ففشا الخلط بين الوسائل والمقاصد ، وبين الأهداف والمناهج ، وانتشرت الفوضى الدعوية بين المنتسبين إلى الدعوة[٢] ، ووقع من وقع منهم في شباك التطرف والغلو .

وقد يكون خلو الساحة الدعوية من علماء أصحاب رسالة ، وممن ينادون بالوسطية ، والذين يضبطون الفكر والتصور بل والسلوك ، هو السبب في الوقوع في آفة الغلو والتطرف ، ولاسيما إذا كانت هناك حماسة ، أو قوة إيمان وعاطفة تدفع إلى

(١) الاعتصام للشاطبي ج٢ ص ١٨١ – ١٨٢ . ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) راجع في هذا المعنى : (من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق) عبدالله الزبير عبدالرحمن ص ٣٩ – ٤٠.

الدعوة إلى الإسلام. والتمكين له في الأرض ، على نحو ما وقع لشباب الصحوة الإسلامية في هذا العصر ، وبعدما فقدوا الثقة بأكثر المحترفين من رجال العلم ، وخاصة المقربين من الحكام منهم ، فهم عندهم في موضع الاتهام ، لأنهم يمالئون الحاكم رغم علمهم بأنه على باطل.

فالمسلمون تحركهم فتوى من عالم مخلص وتوقفهم كذلك ، وقد تعجز الأسلحة أن تفعل ما يفعله عالم مؤمن ؛ لذا يجب على الساسة إظهار احترام العلماء الربانيين، واتّباع ما يقولونه ولو خالفهم في بعض الأحيان .

وعلى العلماء احترام ما يحملونه من علم شريف ، أما أن يصل الحال ببعضهم إلى الفتوى بجواز منع المسلمات من الحجاب! أو السكوت على قتل مئات المسلمين في أفغانستان أو العراق أو فلسطين! فإن كل هذا مما يسقط هيبة العلماء ، ويجعل هؤلاء الشباب يبحثون عن أنصاف طلاب العلم ليتعلموا عليهم، [ولقد ساهم الإعلام في إسقاط هيبة العلماء الربانيين ، وفي بعض الدول صدرت تنظيمات كثيرة كان لها أكبر الأثر في هذا الباب. ولا أقصد هنا أن يكون العالم تبعاً للعامة يفتى على ما يشتهون ، ولكن لابد من الصدع بالحق[1].

وعلى العامة احترام العلماء وإعزارهم ، وعلى العلماء القيام بواجبهم، وليحذر المتتبع لزلات العلماء من غضب الله فهم أولياؤه ، قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس : ٦٢] ، قال ابن عساكر رحمه الله مبيناً عظم التعدي على العلماء : "اعلم يا أخي – وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته – أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب.." [2]. (وكم من شخص رأيناه قد أطلق لسانه في العلماء ثم سقط على قارعة الطريق وصار عبرة لكل معتبر ، قد بلاه الله بالكبائر ، ويخشى عليه من الهلاك التام

---

(١) مقالة في موقع مفكرة الإسلام بعنوان (العلماء بين الإسقاط التعصب) .

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري / لأبى القاسم بن عساكر (ص: ٢٨) .. الطبعة الأولى ، ١٣٤٧هـ,
وانظر : الرد على المخالف من أصول الإسلام . د/ بكر أبو زيد.

والردة ، وكلما مر عليه عامي استرجع ، أو محتسب قال له : هلا تنحيت عن طريق الناس. وعند الله تجتمع الخصوم [1].

وفى المقابل شاهد الشباب انكماش العلماء ، وغيابهم عن الساحة الدعوية إيثارا للسلامة ، والعافية ، فتقدمت شريحة الشباب بلا روية لحمل الراية ، واعتمدوا على أنفسهم في فقه الأحوال ، واستنباط الأمور ، وقد أتيت بعض الدعوات والحركات من هذا الباب ، فكان الوقوع في آفة التطرف والغلو.

سابعاً : الاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى :

إن من جملة أبناء الأمة من يشتغل بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية، عن قضايا الأمة المتعلقة بكينونتها وهويتها ومصيرها، (فنرى كثيراً منهم يقيم الدنيا ويقعدها من أجل حلق اللحية أو الأخذ منها أو إسبال الثياب ، أو تحريك الأصبع في التشهد ، أو اقتناء الصور الفوتوغرافية أو نحو ذلك من المسائل التي طال فيها الجدل، وكثر فيها القيل والقال.

هذا في الوقت الذي تزحف فيه العلمانية اللادينية ، وتنتشر الماركسية الإلحادية ، وترسخ الصهيونية أقدامها ، وتكيد الصليبية كيدها، وتعمل الفرق المنشقة عملها في جسم الأمة الكبرى ، وتتعرض الأقطار الإسلامية العريقة في آسيا وأفريقيا لغارات تنصيرية جديدة يراد بها محو شخصيتها التاريخية وسلخها من ذاتيتها الإسلامية، وفى نفس الوقت يذبح المسلمون في أنحاء متفرقة من الأرض ، ويضطهد الدعاة الصادقون إلى الإسلام في بقاع شتى. [2]

إن أمثال هؤلاء المغاليين المثيريين للجدل في مثل هذه المسائل الجزئية، والتي ينفخون فيها باستمرار ، يعرف عنهم التقصير في واجبات وفرائض أساسية ، كتحري الرزق الحلال ، أو إتقان العمل ، أو بر الوالدين ، أو رعاية حق الزوجة والأولاد، أو حق الجار ، لقد ضُبط بعضهم في الامتحان وهو يغش (بيده برشامة) ، فلما أراد المراقب سحب ورقته ، وأمسك الورقة بيده اليسرى ، وإذ بالطالب (الغشاش) يحمر

---

(١) ولتفصيل ذلك انظر : الرد على المخالف من أصول الإسلام . د/ بكر أبو زيد.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٧٣.

وجهه وتنتفخ أوداجه ويزجر أستاذه قائلاً له ، اتق الله وخذها باليمين يا شيخ !!!، فقد غضوا الطرف عن مثل هذه الواجبات ، واستهانوا بمثل هذه المحرمات، وسبحوا في دوامة الجدل ، حتى انتهى بهم إلى اللدد في الخصومة ، والمماراة المذمومة التي نهى عنها رسول الله ﷺ فيما جاء : (عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ، قال النبي ﷺ ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل ثم قرأ رسول الله ﷺ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) [١].

ثامناً : الإسراف في التحريم والتباس المفاهيم :

إن من أسباب الوقوع في آفة الغلو أو التطرف ، وجود شريحة من الشباب يميلون دائماً إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم ، ويوسعون دائرة المحرمات ، مع أن النهج الدعوي القائم على الكتاب والسنة الصحيحة وفعل السلف الصالح ، يحذر من ذلك أيما تحذير.

وحسبنا قول الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل : ١١٦] .

يقول المفسرون : (ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس فيها مستند شرعي، أو حلل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه، ثم توعد على ذلك فقال : [إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون] أي في الدنيا ولا في الآخرة ؛ أما في الدنيا فمتاع قليل ، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم] [٢].

والسلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزما، أما ما لا يجزم بتحريمه فيعبرون عنه بهذا التعبير: نكره هذا ، أو لا نراه، وهكذا من مثل هذه العبارات ، ولا يصرحون بالتحريم، أما الميالون إلى الغلو،

---

(١) المستدرك على الصحيحين للنيسابوري قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه حديث رقم ٣٦٧٤ ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ط/ دار الكتب العلمية بيروت والترمذي: باب من سورة الزخرف حديث رقم ٣٢٥٣ وقال حسن صحيح.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية والقرطبي والطبري.

فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ ، بدافع التورع والاحتياط ، إن أحسنا الظن، أو بدوافع أخرى ، يعلم الله حقيقتها.

فإذا كان في الفقه رأيان : أحدهما يقول بالإباحة والآخر يقول بالكراهة، أخذوا بالكراهة ، وإن كان أحدهما بالكراهة ، والآخر بالتحريم ، جنحوا إلى التحريم.

وإذا كان هناك رأيان: أحدهما ميسر ، والآخر متشدد ، فهم دائماً مع التشديد، مع التضييق ، هم دائماً مع شدائد ابن عمر ، ولم يقفوا يوما مع رخص ابن عباس، وكثيرا ما يكون ذلك لجهلهم بالوجهة الأخرى ، التي تحمل الترخيص والتيسير[١].

ومثال القضايا التي دائماً يقيمون الدنيا ويقعدونها من أجلها. تقصير الثوب إطلاق اللحية ، الشرب جالسا . لبس ثيابا بعينه ، ومثل هذه القضايا المختلف فيها، والتي تسع الدعوة الإسلامية فيها الناس جميعا في كل زمان ومكان ، لأن الإسلام دين عالمي ، جاء للناس جميعاً.

(وقد أدى هذا الغبش في فهم الإسلام، وعدم وضوح الرؤية لأصول شريعته، ومقاصد رسالته ، إلى التباس كثير من المفاهيم الإسلامية، واضطرابها في أذهان الشباب أو فهمها على غير وجهها.

ومنها : مفاهيم مهمة يلزم تحديدها وتوضيحها ، لما يترتب عليها من آثار بالغة الخطورة في الحكم على الآخرين وتقويمهم ، وتكييف العلاقة بهم، وذلك مثل: مفاهيم الإيمان والإسلام ، والكفر والشرك ، والنفاق والجاهلية ونحوها.

إن قوما لم يتذوقوا اللغة ولم يدركوا أسرارها ، خلطوا في هذه المفاهيم بين الحقيقة والمجاز ، فاختلطت عليهم الأمور، والتبست عليهم السبل، واضطربت الموازين. إنهم لم يفوقوا بين الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، وبين الإسلام الكامل ومجرد الإسلام. ولم يميزوا بين الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، وكفر المعصية. ولا بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر ، ولا بين نفاق العقيدة ونفاق العمل ، وجعلوا جاهلية الخلق والسلوك كجاهلية العقيدة سواء[٢].

---

(١) انظر : الصحوة الإسلامية ص ٧٥ – ٧٦ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ص ٧٨ – ٧٩.

ويوضح العلامة ابن حجر رأي السلف وغيرهم من الفرق في مثل قضية الإيمان والكفر هذه قائلاً : (فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله ومن هنا نشا لهم القول بالزيادة والنقص كما سيأتي والمرجئة قالوا هو اعتقاد ونطق فقط والكرامية قالوا هو نطق فقط والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد والفارق بينهم وبين السلف إنهم جعلوا الأعمال شرطا في صحته والسلف جعلوها شرطا في كماله وهذا كله بالنظر إلى ما عند الله تعالى أما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا أن اقترن به فعل يدل على كفره كالسجود للصنم فإن كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره ، ومن نفي عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله ، ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فعل فعل الكافر ، ومن نفاه عنه فبالنظر إلى حقيقته ، وأثبتت المعتزلة الواسطة فقالوا الفاسق لا مؤمن ولا كافر) [١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (والنفاق كالكفر ، نفاق دون نفاق ، ولهذا كثيرا ما يقال : كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل ، ونفاق أكبر ونفاق أصغر) [٢]

ويبن رأيه في تكفير المعين قائلاً : (... إني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية ، إلا إذا علمت أنه قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة ، وفاسقا أخرى ، وعاصيا أخرى. وإنني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها ، وذلك يعم المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ، ولم يشهد أحد منهم على أحد بكفر، ولا بفسق ، ولا معصية[٣].

فالفرق كبير وشاسع ، وشتان بين المؤمن والكافر ، ومجتمع الإيمان ومجتمع الكفر ، والذي بينهما هو الذي بين الحق والباطل ، وبين الطيب والخبيث ، والهدى والضلال ، والخير والشر.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١ ، ص٤٦.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٧ ص ٥٢٤.
(٣) المرجع السابق ج٣ ، ص ٢٢٩.

ذاك مشرك كافر ، ومجتمع شركي كفري ، تخطف الريح أفراده ، وترمي بهم في مكان سحيق ، يتمرغون في تراب الكفر والتيه ، ويتخوضون في مستنقعات العمي والضلال الآسنة.

ذاك إنسان لا يقوم على أمر حكيم، ومجتمع لا يسير إلى الله على طريقه المستقيم.. بينما المؤمن الذي يعيش في مجتمع الإيمان والذي يؤمن بالله ربا وإلها، ويعبده حق عبادته ، ويطبق منهاجه وطريقه المرسوم له ، وإن زل قدم البعض، أو تعثر ، أو تاه ، أو إنحراف عن الاستقامة [١].

شتان بين من يؤمن وبين من لا يؤمن .. بين من يؤمن ويخطئ ، ومن يكفر وينحرف .. بين من يخطئ ويستغفر ، وبين من يخطئ ولا يستغفر.. وبين من يذنب فيتوب ، وبين من يذنب ويصر على ذنبه.

فهل يستويان مثلا ؟ ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥]

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر : ٥٨]

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [فاطر : ١٩]

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص : ٢٨]

فهذه إجابة الله تعالى على هذا السؤال.

ومن ثم لا يجوز تكفير أهل القبلة بمطلق الذنوب إلا بالاستحلال أو الجحود.

تاسعاً : ضعف البصيرة بالواقع والتاريخ وبالسنن الكونية:

إن معرفة التاريخ ودراسته من أجل العبرة والعظة ، لمن الضرورات بالنسبة للدعاة من أبناء الأمة، والوقوف على السنن الكونية ، وقراءتها قراءة متدبرة، وببصيرة نافذة، لمن ألزم الأمور على أبناء الأمة ، وإن من أدار ظهره لمثل هذا ولم يقرأ التاريخ ببصيرة ووعي حاضر، وقع في الغلو والتطرف. (فتجد أحدهم يريد ما لايكون، والطلب ما لا يوجد ، ويتخيل ما لا يقع ، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها، ويفسرها

(١) انظر : من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق ٤٥ – ٤٦.

وفقاً لأوهام رسخت في رأسه ، لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه. فهو يريد أن يغير المجتمع كله: أفكاره ومشاعره وتقاليده وأخلاقه وأنظمته: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية ، وأساليب خيالية ، مع شجاعة وجرأة وفدائية لا تستكثر تضحية وإن غلت ، ولا تعبأ بالموت تقع عليه أو يقع عليها، ولا تهتم بالنتائج أيا كانت ما دامت نيتها لله وهدفها إعلاء كلمة الله تعالى.) [١]

إن من عرف التاريخ وسنن الله تعالى فيه ، اتعظ بالآخرين ، وتعلم من أخطاء غيره ، واقتبس مما عندهم من خير.

يحمل تاريخنا القديم والمعاصر عدة محاولات للخروج على الحكام أكثرها باء بالفشل ، وأسوأ من الفشل الفتن الكبرى التي حلّت بالأمة من جرّاء ذلك الخروج، ولابد لنا من دراسة متأنية للتاريخ وسبر أغواره ؛ لأن أحداث التاريخ تتكرر وتتشابه إلى حد كبير جداً ؛ لأن وراءها سنناً ثابتة تحركها وتكيفها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبدالملك والمنصور وغيرهم ، فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولي غيره كما يفعله من يرى السيف ، فهذا رأي فاسد ؛ فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، وغاية هؤلاء إما أن يُغْلبوا وإما أن يَغْلبوا ، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، ... والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة ، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم ، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم"[٢] .

---

(١) الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٠.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية – تحقيق : محمد رشاد سالم مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر الطبعة الأولى (١٤٠٦) – (٥٢٧/٤).

ولو رجع هؤلاء إلى السيرة النبوية لوجدوا أن رسول الله ﷺ ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو ويربي أصحابه ، والشرك ضارب أطنابه عن يمينه وشماله ، والكعبة تحيط بها الأصنام ، وهو ﷺ يصلي عند الكعبة ويطوف بها ، وقد مرّ على آل ياسر رضي الله عنهم وهم يعذبون فلم يملك إلا أن يصبرهم. [١]

ومن السنن المهمة التي طالما يغفل عنها بعض المتحمسين من الشباب، والمتعجلين الثمار قبل النضوج ، سنة التدرج ، وسنة الأجل المسمى (فأما التدرج فهو سنة كونية ، وسنة شرعية .

ولهذا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ، وكان قادرا أن يقول: كوني فتكون .... وكذلك نرى خلق الإنسان والحيوان والنبات ، كلها تتدرج في مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها.

فهذا من الناحية الكونية ، وأما من الناحية الشرعية ، فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة ، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً... ولهذا افترق القرآن المكي عن القرآن المدني.) [٢]

ويا لها من فقيهة أمنا الرءوم السيدة عائشة رضوان الله عليها ، إذ تصف تدرج التشريع بقولها (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) [٣].

لابد إذن من تغيير النفوس شيئاً فشيئاً ، وإعدادها لتقبل أوضاع جديدة، وتهيئة النفوس التائهة لتقبل الحق ، كما نهيئ الطفل للفطام بعد الرضاع. فإن أنت منعته مرة واحدة أصبته بضرر بالغ قد يهلكه. وإن أنت أخذته بالتدرج أعنته على الاعتماد على نفسه.

---

(١) الغلو / مصطفى خليل (ص : ٢٢٠) – الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) – ط/ دار المعرفة.

(٢) انظر الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٣) البخاري كتاب فضائل القرآن. باب تأليف القرآن حديث رقم ٤٧٠٧.

وفقاً لأوهام رسخت في رأسه ، لا أساس لها من سنن الله في خلقه، ولا من أحكامه في شرعه. فهو يريد أن يغير المجتمع كله: أفكاره ومشاعره وتقاليده وأخلاقه وأنظمته: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بوسائل وهمية ، وأساليب خيالية ، مع شجاعة وجرأة وفدائية لا تستكثر تضحية وإن غلت ، ولا تعبأ بالموت تقع عليه أو يقع عليها، ولا تهتم بالنتائج أيا كانت ما دامت نيتها لله وهدفها إعلاء كلمة الله تعالى.) [١]

إن من عرف التاريخ وسنن الله تعالى فيه ، اتعظ بالآخرين ، وتعلم من أخطاء غيره ، واقتبس مما عندهم من خير.

يحمل تاريخنا القديم والمعاصر عدة محاولات للخروج على الحكام أكثرها باء بالفشل ، وأسوأ من الفشل الفتن الكبرى التي حلّت بالأمة من جرّاء ذلك الخروج، ولابد لنا من دراسة متأنية للتاريخ وسبر أغواره ؛ لأن أحداث التاريخ تتكرر وتتشابه إلى حد كبير جداً ؛ لأن وراءها سنناً ثابتة تحركها وتكيفها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "فإن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبدالملك والمنصور وغيرهم ، فإما أن يقال : يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولي غيره كما يفعله من يرى السيف ، فهذا رأي فاسد ؛ فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، وغاية هؤلاء إما أن يُغْلبوا وإما أن يَغْلبوا ، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة، ... والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا ، وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة ، فليسوا أفضل من علي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدراً عند الله وأحسن نية من غيرهم ، وكذلك أهل الحرة كان فيهم من أهل العلم والدين خلق ، وكذلك أصحاب ابن الأشعث كان فيهم خلق من أهل العلم والدين، والله يغفر لهم كلهم"[٢] .

---

(١) الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٠.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية – تحقيق : محمد رشاد سالم مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر الطبعة الأولى (١٤٠٦) – (٥٢٧/٤).

ولو رجع هؤلاء إلى السيرة النبوية لوجدوا أن رسول الله ﷺ ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو ويربي أصحابه ، والشرك ضارب أطنابه عن يمينه وشماله ، والكعبة تحيط بها الأصنام ، وهو ﷺ يصلي عند الكعبة ويطوف بها ، وقد مرّ على آل ياسر رضي الله عنهم وهم يعذبون فلم يملك إلا أن يصبرهم. [١]

ومن السنن المهمة التي طالما يغفل عنها بعض المتحمسين من الشباب، والمتعجلين الثمار قبل النضوج ، سنة التدرج ، وسنة الأجل المسمى (فأما التدرج فهو سنة كونية ، وسنة شرعية .

ولهذا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ، وكان قادرا أن يقول: كوني فتكون .... وكذلك نرى خلق الإنسان والحيوان والنبات ، كلها تتدرج في مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها.

فهذا من الناحية الكونية ، وأما من الناحية الشرعية ، فقد بدأ الإسلام بالدعوة إلى التوحيد وتثبيت العقيدة السليمة ، ثم كان التشريع شيئاً فشيئاً... ولهذا افترق القرآن المكي عن القرآن المدني.) [٢]

ويا لها من فقيهة أمنا الرءوم السيدة عائشة رضوان الله عليها ، إذ تصف تدرج التشريع بقولها (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) [٣].

لابد إذن من تغيير النفوس شيئاً فشيئاً ، وإعدادها لتقبل أوضاع جديدة، وتهيئة النفوس التائهة لتقبل الحق ، كما نهيئ الطفل للفطام بعد الرضاع. فإن أنت منعته مرة واحدة أصبته بضرر بالغ قد يهلكه. وإن أنت أخذته بالتدرج أعنته على الاعتماد على نفسه.

---

(١) الغلو / مصطفى خليل (ص : ٢٢٠) – الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) – ط/ دار المعرفة.

(٢) انظر الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٣) البخاري كتاب فضائل القرآن. باب تأليف القرآن حديث رقم ٤٧٠٧.

إن الخطوة الأولى على طريق الإصلاح تبدأ من الداعية نفسه حين يتأكد من سلامة القاعدة التي ينطلق منها للإرشاد والتوجيه وإلا أصبح كحاطب ليل لا يدري أي شيء يمسك[١] ومن ثم ينبغي على الذين يدعون إلى إقامة الدولة الإسلامية في الأرض، أن يراعوا سنة التدرج في تحقيق ما يسعون إليه من أهداف ، آخذين في اعتبارهم سمو الهدف ، ومبلغ الإمكانات ، وكثرة المعوقات.

والسنة الثانية وهي متممة للسنة الأولى وهي: (أن لكل شيء أجل مسمى يبلغ فيه نضجه أو كماله ، وهذا ينطبق على الماديات والمعنويات فلا ينبغي أن يستعجل الشيء قبل أن يبلغ أجله المقدر لمثله ، فإن الزرع إذا حصد قبل إبانه ، والثمر إذا قطف قبل أوانه ، لا ينتفع به النفع المرجو بل قد يضر ولا ينفع.

فإذا كان النبات لا يؤتي أكله إلا بعد أشهر أو سنة ، وبعض الشجر لا يثمر قبل سنوات عدة، فبعض الأعمال الكبيرة لا تقطف ثمارها إلا بعد عقود من السنين، وكلما كان العمل عظيماً كانت ثمرته أبطأ ، كما قيل : أبطأ الدلاء فيضا أملؤها.

وقد يبدأ جيل عملا تأسيسياً ذا شأن، فلا يستفيد منه إلا الجيل الثاني أو الثالث أو ما بعد ذلك ، ولا ضير في هذا ما دام كل شيء يسير في خطه المعلوم وطريقه المرسوم[٢].

إن نصر الله قريب ، وآت لا محالة ، ولكن له موعد محدود، وأجل مسمى معلوم ، ولا يعجل الله بعجلة أحد من خلقه.

عاشراً : الهجوم العلني والتآمر الخفي على الأمة الإسلامية :

ذلك أن الأمة الإسلامية في كل أقطار الأرض لقيت ، ومازالت تلقى هجوماً شرساً عليها ، وعلى حرماتها ، ومقدساتها ، مرة في صورة علنية وأخرى في صورة سرية أو خفية ، ويشارك في هذا الهجوم كل القوى غير الإسلامية ، من يهود، وصليبيين ، وشيوعيين ، ووثنيين ، وذيول هؤلاء وأذنابهم من أبناء جلدتنا وممن يتحدثون بلغتنا ، ويعيشون بين ظهرانينا ، والذين غرهم بريق المادية في الشرق

(١) الدعوة قواعد وأصول تأليف/ جمعة أمين عبدالعزيز ص ١٨٧ . الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ط/ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة.

(٢) الصحوة الإسلامية ، ص ١٠٨ - ١٠٩.

والغرب، حتى إنهم يختلفون بينهم كل الاختلاف، ثم تراهم يتفقون كل الاتفاق إذا هبت ريح الإسلام في صورة حركة أو دعوة أو دولة.

ولهذا يوجد لكل القضايا من يناصرها ماديا ، ويدعمها أدبياً ، إلا القضايا الإسلامية وصدق الله العظيم إذ يقول﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال : ٧٣]

(فمحنة المسلمين اليوم لا تقتصر على تسلط أئمة الضلال فحسب، بل تعدت ذلك إلى تربية سَخّرت المناهج الدراسية وكراسي الجامعات والصحف والإذاعات لمسخ الأفكار والقيم ، حتى غدا صَيْدُ المُخطّطات في سرور ، يَحْسَبُ نفسه في انعتاق من أسر القديم ، أي قديم كان.

إن عصاة المسلمين اليوم ضحية تربية أخلدتهم إلى الأرض ، أرادت لهم الفسوق ابتداء ، لتستخف بهم الطواغيث انتهاء.

وإنها خطة قديمة ، يأخذها الطاغوت اللاحق عن الطاغوت السابق، حتى تصل إلى فرعون[١] . وذلك كما يقول الله تعالى: عن فرعون﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٥٤]

فهذا هو التفسير الصحيح للتاريخ، وما كان فرعون بقادر على أن يستخف قومه فيطيعوه لو لم يكونوا فاسقين عن دين الله، فالمؤمن بالله لا يستخفه الطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمرا... وهكذا أدركوا المقتل الذي عرفه فرعون ، فتواصوا بالإفساد، وأخذوا يحولون المجتمعات إلى فتات غارق في وحل الجنس والفاحشة والفجور ، مشغول بلقمة العيش لا يجدها إلا بالكَدّ والعُسر والجُهد كي لا يفيق بعد اللقمة والجنس، ليستمع إلى هدي أو يفئ إلى دين.[٢]

وتلك سياسة أعداء الدعوة في كل زمان ومكان.

(سياسة محاربة المساجد بالمراقص.

ومحاربة الزوجات بالمومسات .

(١) المنطلق / الأستاذ/ محمد أحمد الراشد ص ٤٠ - ٤١ ط/ دار المنطلق . دبي الإمارات.

(٢) انظر في ظلال القرآن عند تفسيره لهذه الآية.

ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر.

ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة) [١]

وهكذا تحول الجيل بهذه التربية إلى جيل مستخف بـه، ولكـن (الإنسـان – بفطرته – نفور من الذُلّ ، آب على الحَيْف ، ولكن تحيط بالنـاس أحـوال ، وتتـوالى عليهم حادثات ، فيُرَاضُون على الخضوع حينا بعد حين، ويسكتون إلى الخـضوع حـالا بعد حال ، حتى يدربوا عليه، أو كما يُستأنس السبع، ويؤلف الوحش، ولكن يبقـى فـي النفس ذرات من الكرامة ، ومن الدماء شذرات من الجمر ، فإذا دعا الداعي إلى العزة، وأذن بالحرية ، وأيقظ الوجدانَ النائمَ ، وحرك الشعور الهاجدَ : نبضت الكرامـة فـي النفس، وبصت الجمرة في الرماد ، وفاقت في الإنسان إنسانيته، فـأبى وجاهـد، ورأى كل ما يلقى أهون من العبودية ، وأحسن من هذه البهيمية.

كل ذل يصيب الإنسان من غيره، وينالـه من ظاهره : قريب شفاؤه ، ويسـير إزالته. فإذا نَبَعَ الذل من النفس ، وانبثق من القلب ، فهـو الـدواء الـدوي والمـوت الخفي[٢].

لقد ضيق أعداء الدعوة على الدعاة ، ليستبد بالتوجيـه التربـوي والإعلامـي المقروء والمسموع والمرئي حفنة من أدعياء العلم ، الـذين موهـوا أمـرهم بأسـماء منظمات متباينة ، تزين للجيل الجديد الشهوات والجنس والعيش الرغيد ، محاولة محي تراث الأمة الذي نهضت به وطامسة قصص الدعاة والعلماء ، حـذراً مـن أن تكـون نبراسا لهذا الجيل .

ناهيك عما يراه المسلم ليل نهار من تقتيل وإبادة جماعية لإخوانه في الدين في أماكن شتى ، تحت سمع وبصر المجتمع الدولى. (وهل يسع مسـلماً يـؤمن بـالأخوة الإسلامية ، ويعتز بالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس ، ويؤمن بأن المسلمين – وإن اختلفت أوطانهم وألسنتهم – أمة واحدة ، يسعى بذمتهم ، وأن (مـن لـم يهـتم بـأمر

---

(١) انظر : وحي القلم للرافعي ج٢ ص ٢٥٨ . نقلاً عن المنطلق ص٤١.

(٢) الشوارد / عبدالوهاب عزام ص ٣١٨. نقلاً عن المنطلق ص ٤٢.

المسلمين فليس منهم) [١] – أن يرى مآسي أمته في كل زمان، ويرى إخوانه في العقيدة معرضين للإبادة المادية بالتقتيل والتنكيل ، أو بالإبادة المعنوية بالتنصير أو (التشـييع)، أو على الأقل التجهيل والتضليل ، ثم يصبح ويمسى قرير العين ، ضاحكا ملء سـنه ، نائماً ملء جفنه ؟ فأين أخوة الإسلام ، ورابطة الإيمان) [٢].

إن المسلم بهذا لابد أن يخامره شعور قـوي وأكيـد بضـرورة التصـدي ، والمواجهة ، وحين يأخذ في التصدي ، والمواجهة يصيبه ما يصيب أي إنسان يبصـر أمته وقد تكالب عليها الأعداء من كل مكان تكالب الأكلة على القصعة ، من الغلـو أو التطرف.

ومن أكبر أسباب الغلو : ردة الفعل لما يراه كثير من الشباب من الهجوم على الدين في الإعلام مع سكوت الساسة والعلماء ، لذا فهم يقدمون على بعض هذه الأعمال غَيرَةً على الدين – حسب فهمهم – ولو قام كلٌ بواجبه لسكت هؤلاء، وإن كان هـذا لا يعتبر عذراً لهم.

حادي عشر : منع عدد من الدعاة المخلصين :

قامت بعض الدول الإسلامية بمنع كثير من الصالحين المصـلحين لمجـرد الخلاف حول إنكار بعض المنكرات العامة وقيدت حركاتهم ، مما جعل الغلاة ينشرون أفكارهم الضالة .

وهنا قاعدة طردية وهي : كلما سمع للدعوة واحترم العلمـاء ذابـت الأفكـار المنحرفة، ومتى منع العلماء الناصحين والدعاة المخلصين ظهرت الأفكار المنحرفـة؛ لأن أصحابها يستغلون منع المصلحين لترويج أفكارهم، ولا يوجد من أهل العلـم مـن يردهم إلى الطريق المستقيم ، ومن تأمل أحوال الدول الإسلامية علم صدق هذا.

---

(١) المعجم الوسيط للطبراني ج١ ص ٤٩٥ تحقيق/ طارق بن عوض الله بن محمد. عبدالمحسن بـن إبراهيم الحسيني ط/ دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ . وتكملة الإكمـال للبغـدادي ج١ ص٤٩٥، تحقيق د/ عبدالقيوم عبد ريب النبي ط/ جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٠هـ. وكشف الخفـاء للعجلوني ج٢ ، ٣٦٨ تحقيق أحمد القلاش ط/ مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) الصحوة الإسلامية ص ١١٧ – ١١٨.

وقد يحصل الغلو عند الشباب من غير قناعات فكرية شاذة أو متنطعة بل يكون نتيجة ردود فعل لما يحصل في بعض المجتمعات الإسلامية من صور القهر أو الظلم أو العدوان فيدفعهم ذلك الى أعمال غير محسوبة ولا معروفة العواقب تزيد من هوة الخلاف وتضاعف من القهر والظلم أكثر مما مضى [1].

(١) التطرف الفكري وأزمة الوعي الديني – د. مسفر القحطاني – (١٥٨) بتصرف يسير – ضمن كتاب الأمن رسالة الإسلام – جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

المبحث الرابع

مظاهر الغلو في الدين أو التطرف

إن الغلو في الدين أو التطرف من أمراض هذا العصر المميتة.. فقد تحمّل الإسلام وزر أفراد منه اتخذوه سبباً لإيذاء الآخرين والنيل من سماحة الإسلام وإن مظاهر الغلو في الدين أو التطرف كثيرة أبرزها:

١ – التعصب والبغي على المخالف :

إن من مظاهر الغلو في الدين أو التطرف، ظاهرة التعصب للرأي ، ومصادرة الرأي الآخر ، بل والبغي عليه ، فتجد أكثر حملة هذا الفكر متعصبين جداً لأفكارهم ، وليس عندهم أي استعداد لسماع المخالف ، وفيهم حدة على من خالفهم إلا ما ندر ، ويعطون أنفسهم حق الاجتهاد ، وأنهم بين الأجر والأجرين ، ويمنعون الآخرين هذا الحق ، بل يعطون أنفسهم حق نقد الآخرين بكل قسوة وليس للآخرين هذا الحق [1] !!

إن الحماس للدين والغيرة عليه إيمان ، والمؤمن يغار أن تنتهك حرمات الله، والله أغير من عباده ، وبئس الرجل لا يغار على حرمات الله ولا يتحرك قلبه ولا تترف نفسه إذا رأى معصية لا يستطيع تغييرها ، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله : "إني لأرى الشيء يجب على أن أتكلم فيه فلا أفعل ، فأبول دماً"[2] فيا لله أين حالنا من حال سفيان رضي الله عنه ؟! ولكن قد يتعدى المؤمن فيقع في الحرام وهو يظن أنه يحسن صنعاً.

فقد يغيب عن بعض الشباب (أن الخلاف في المسائل الفرعية واقع لا محالة، بل لا نُبْعِدُ إن قلنا: إن قدرا منه مقصود ابتداءً للشارع؛ إذ لو شاء الله أن ينزل القرآن على نحو لا يحتمل في الفهم إلا وجها واحداً ما أعجزه ذلك ، ولو شاء الله أن تكون السنة على نحو لا يحتمل في الفهم إلا وجها واحداً ما أعجزه ذلك كذلك ، ولكنه جعل

(١) حرمة الغلو في الدين – أسامة حافظ وعاصم محمد – مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى (١٤٢٥) – (ص:٢٧).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٣/٧). ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

كثيراً من نصوص القرآن والسنة على نحو يحتمل في الفهم وجوها متعددة؛.... ولقد صنف رجل كتاباً في الاختلاف ، فقال له الإمام أحمد: لا تسمه (كتاب الاختلاف) ، ولكن سمه (كتاب السعة) ، وشاع على ألسنة العلماء: إجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة). (١)

ورحم الله الإمام الشاطبي حيث يقول : (فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالا للظنون ، وقد ثبت عند النُظَّار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيّات عريقة في إمكان الاختلاف ، لكن في الفروع دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات) (٢) .

فأمثال هؤلاء المغاليين أو المتطرفين لم يتعلموا كيف يسعهم ما وسع أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم من أئمة الدين ، ومن لم يسعه ما وسعهم فلا أوسع الله عليه .

إنهم يتعصبون للرأي تعصباً لا يعترفون معه للآخرين بوجود ، ويجمدون على فهمهم جموداً لا يسمح لهم برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر ، ولا يفتحون نافذة للحوار مع الآخرين ، وموازنة ما عندهم بما عند مخالفيهم ، والأخذ بما يرونه بعد ذلك أنصع برهاناً ، وأرجح ميزاناً.

وإنه لمن دواعي الأسف أن أمثال هؤلاء المغالين أو المتطرفين يجيزون لأنفسهم أن يجتهدوا في أعوص المسائل ، وأغمض القضايا ، ويفتون فيها بما يلوح لهم من رأي ، وافقوا فيه أو خالفوا ، ولكنهم لا يجيزون لعلماء الأمة المتخصصين في هذا العصر ، منفردين أو مجتمعين ، أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهبوا إليه.

(ومنهم من يخرج بآراء وتفسيرات لدين الله ، هي غاية في العجب، لا يبالي أن يشذ فيها عن كافة السابقين واللاحقين ، والمحدثين والمعاصرين ، لأن رأسه برأس أبي بكر ، وعمر ، وعليّ ، وابن عبّاس رضي الله عنهم ، فهو رجل وهم رجال! وليته

(١) الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د/ صلاح الصاوي ص٢٢.
(٢) الاعتصام ج٢ ، ص ١٢٨.

يعدي هذه الرجولة والفحولة إلى غيره من معاصريه ، من لا يرى رأيه ، ولا يتبع نهجه من أهل العلم ، بيد أنه لا يتعدى نفسه ، وكل الصيد في جوف الفرا !

فهذا التعصب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه ، وينفي كل من عداه، هو الذي نراه من دلائل الغلو في الدين أو التطرف حقاً ، فالمغالي أو المتطرف كأنما يقول لك: من حقي أن أتكلم.. ومن واجبك أن تسمع .. ومن حقي أن أقود .. ومن واجبك أن تتبع .. رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ، ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب.. وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً ، لأن اللقاء يمكن ويسهل في منتصف الطريق ووسطه، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به ، فهو مع الناس كالمشرق والمغرب، لا تقترب منه أحدهما إلا بمقدار ما تبتعد من الآخر) (١).

يزعمون أنهم على الحق وحدهم ، والآخرون على الضلال ، ويتهمون من خالفهم الرأي بالجهل ، واتباع الهوى ، ويرمون من خالفهم في السلوك بالفسوق والعصيان، كأنهم جعلوا من أنفسهم أنبياء معصومين ، ومن كلامهم وحياً منزلاً !!

وجهل هؤلاء قاعدة اجتمع عليها علماء الأمة في كل عصر (كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا النبي ﷺ).

٢- التعسير مع قيام موجبات التيسير :

ومن مظاهر الغلو في الدين أو التطرف : إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به، فيلزمهم المغالون بالتشديد ، والتعسير ، والمشقة ، مع قيام موجبات التيسير، فقد تزينت أحكام الإسلام بالتيسير ، وتجمّلت شرائعه بدفع المشقة ، وتطبيب مقاصده برفع الحرج والضيق. إنه لا مانع من أن يأخذ المسلم نفسه بالأشد في بعض المسائل ، وبالأثقل في بعض الأحوال ، تورعاً واحتياطاً ، ولكن الحرج من كون هذا ديدنه دائماً وفي كل أحواله ، بحيث يحتاج إلى التيسير فيأباه ، وتأتيه الرخصة فيرفضها ، مع أن الله تعالى ينفي الحرج عن دينه فيقول تعالى : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [الحج : من الآية ٧٨]

ويعقب سبحانه على التكاليف ، بإرادة التيسير فيها ، من مثل ما جاء بعد إيجاب الصيام مع رعاية المشقة في السفر والمرض بقوله تعالى :﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ**

(١) انظر : الصحوة الإسلامية ص ٤٤.

﴿وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة : من الآية ١٨٥] وجاء بعد اشتراط الوضوء للتطهر ، وصحة الصلاة ، ورعاية الحرج عند انعدام الماء والمشقة أو العجز عنه بسبب مرض أو نحوه، قوله تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : من الآية ٦]

(فهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف عقيدة المسلم كلها فهي ميسرة لا عسر فيها، وهي توحي للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها ، وتطبع نفس المسلم بطابع خاص بين السماحة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد ، سماحة تؤدي معها كل التكاليف ، وكل الفرائض ، وكل نشاط الحياة الجادة ، وكأنما هي سبيل الماء الجاري ونمو الشجرة الصاعدة في طمأنينة وثقة ورضاء ، مع الشعور الدائم برحمة الله وإرادته اليسر لا العسر بعباده المؤمنين [١].

وعندما خاطب سبحانه نبيه محمداً ﷺ ، بما خص به ، من شرح صدره، ووضع وزره ، ورفع ذكره ، أبان أن العسر مدفوع ، مطارد باليسر أينما حل ، لأن الله تعالى أبطل إعسار العسر بإعقابه بيسرين ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح : ١ - ٦] وأحاديث رسول الله ﷺ جاءت تترى منبهة على التيسير ، مؤكدة للدعاة التركيز عليه ومنها وصية النبي ﷺ عندما بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال : (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا) [٢] وعن: أنس عن النبي ﷺ قال : "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفرا"[٣] وإنما جمع في

---

(١) انظر في ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ط/ دار الشروق الطبعة الحادية عشر.

(٢) متفق عليه البخاري واللفظ له كتاب الجهاد والسير. باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه وقال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. ومسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث رقم ٢٨٧٣.

(٣) متفق عليه البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا حديث رقم ٦٩ واللفظ له . ومسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث رقم ١٧٣٤.

هذه الألفاظ بين الشيء وضده لأنه قد يفعلهما في وقتين قال النووي: (فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات فإذا قال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب.

وفى هذا الحديث : النهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة دون ضمها إلى التبشير وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم وكذلك من قارب البلوغ ومن بلغ ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالبا التزايد منها ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحيلها[١] وقوله : "إن الله يحب أن تؤتي رخصه ، كما يكره أن تؤتى معصيته"[٢].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إن الذين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) [٣].

وقوله ﷺ : (إن دين الله يسر إن دين الله يسر إن دين الله يسر) ثلاثاً[٤]

وما روى : (عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل) [٥]

(وقد يقبل من المسلم أن يشدد على نفسه ، ويعمل بالعزائم ، ويدع الرخص والتيسيرات في الدين ، ولكن الذي لا يقبل منه بحال أن يلزم بذلك جمهور الناس...

---

(١) انظر فتح الباري ج١ ص ١٦٣ شرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص ٤١ ، وفيض القدير للمناوي ج٦ ص ٤٦١. ط/ المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٥٦هـ. الطبعة الأولى.

(٢) صحيح ابن حبان حديث رقم ٢٧٤٢ ج٦ ص ٤٥١ . تحقيق / شعيب الأرنؤوط. ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م الطبعة الثانية .

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر وقول النبي ﷺ أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة.

(٤) رواه أحمد ج٥ ص ٦٩.

(٥) متفق عليه البخاري كتاب الحدود باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله حديث رقم ٦٤٠٤ ومسلم كتاب الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله ثم انتهاك حرماته حيث رقم ٢٣٢٧.

ولهذا كان النبي ﷺ أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه ، حتى إنه كان يقوم بالليل فيطيل القيام حتى تنفطر أو تتورم قدماه عليه الصلاة والسلام، ولكنه كان أخف النّاس صلاة إذا صلى بالناس ، مراعياً ظروفهم وتفاوتهم في الاحتمال) عن "أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء"[١] .

ومن التشديد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات كأنها محرمات ، والمفروض ألاّ نلزم الناس إلاّ بما ألزمهم الله تعالى به جزماً ، وما زاد على ذلك فهم مخيرون فيه ، إن شاؤوا فعلوا ، وإن شاؤوا تركوا[٢].

٣- التشديد في غير محله وعدم الأخذ بسنة التدرج :

ومما ينكر من التشديد أن يكون في غير مكانه وزمانه ، كأن يكون في غير بلاد الإسلام ودياره الأصلية ، أو مع أناس حديثي عهد بإسلام ، أو حديثي عهد بتوبة.

فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية ، والأمور الخلافية ، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات ، والأصول قبل الفروع ، وتصحيح عقائدهم أولاً ، فإذا اطمأن إليها دعاهم إلى أركان الإسلام ، ثم إلى شعب الإيمان ، ثم إلى مقامات الإحسان [٣].

فهذا شأن العالم الرباني ، والداعية الرباني كما يقول شيخ الإسلام ابن حجر: (قيل للعلماء ربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومون به وزيدت ألف والنون للمبالغة والحاصل أنه اختلف في هذه النسبة هل هي نسبة إلى الرب أو إلى التربية ... وقيل بعلمهم جزئيات العلم قبل كلياته أو فروعه قبل أصوله أو مقدماته قبل مقاصده وقال ابن الأعرابي لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالما معلماً عاملاً [٤].

---

(١) متفق عليه البخاري واللفظ له. كتاب الجماعة والإمامة باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء حديث رقم ٦٧١. ومسلم كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام حديث رقم ٤٦٧.

(٢) الصحوة الإسلامية ص ٤٥ – ٤٦.

(٣) انظر المرجع السابق ، ص٤٨.

(٤) فتح البارى ج١ ص ١٦٢.

فمن الضرورات الدعوية : الارتكاز على التدرج في التبليغ والتطبيق. وكل من وقف على طريق الشارع في التشريع ، واستقرأ منهجه في التبليغ ، وتدبر مسالكه في إنزال الأحكام ، يتأكد له أن التدرج سنة من سنن الشريعة والطبيعة.

فلابد من تدبر أحوال المدعوين ، إن كانوا حديثو عهد بالإسلام ، أو إن كان التدين باق فيهم حيا ممارسا ، أو إن كانوا يتحملون ما يلقى إليهم من البلاغ أم بعضه ، وهكذا.

ومن ثم أمر رسول الله ﷺ وهو سيد الدعاة إلى الله ، معاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن ، برعاية هذه الأمور.

فقد روي (عن بن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب) [١] فحدد له ﷺ ، قدر البلاغ بحسب حال القوم الذين أرسله إليهم، وبما يبدأ؟ وماذا يقدم؟ وكيف يبلغ؟ حيث كانوا أهل كتاب ، وأراد الانتقال بهم من دينهم ، إلى هذا الدين الجديد.

وكيف أمره أن يتدرج في دعوتهم ، فيبدأ بالأساس ، وهو الشهادتان: ثم إذا استجابوا دعاهم إلى الركن الثاني ، وهو الصلاة ، فإن أطاعوا انتقل إلى الركن الثالث، وهو الزكاة وهكذا.

ويبن شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التدرج بقوله : (والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين : بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله ، والقدرة على العمل به ، فأما العاجز عن العلم كالمجنون ، أو العاجز عن العمل ، فلا أمر عليه ولا نهي ، وإذا انقطع العلم ببعض الدين ، أو حصل العجز عن بعضه ، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو

---

(١) متفق على البخاري واللفظ له كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (حديث رقم ١٤٢٥) ومسلم كتاب الإيمان . باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام. حديث رقم (١٩).

العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلاً ، وهذه أوقات الفترات ، فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما، كان بيانه لما جاء به الرسول ﷺ شيئاً فشيئاً بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئاً فشيئاً ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ... وكذلك المجدد لدينه ، المحي لسنته ، لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شعائره ويؤمر بها كلها.. وكذلك التائب من الذنوب، والمتعلم ، والمسترشد ، لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ، ويُذكر له جميع العلم ، فإنه لا يطيق ذلك ، وإذا لم يطقه لم يكن واجبا عليه في هذا الحال ، وإذا لم يكن واجبا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء ، بل يعفوا عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان) [١].

(فبالله عليك أي فقه هذا الذي يعلمه ﷺ لأصحابه ، وأي فقه هذا الذي تعلمه خريجو مدرسة محمد ﷺ وكم كان السلف الصالح حكيماً ، فقيهاً ، واعياً يخاطب الناس على قدر عقولهم ولا يحملهم مالا يطيقون.

أريت إلى المنهج القويم ، والأسلوب الحكيم في دعوة الناس ، إنه ﷺ يعلم معاذ أسلوبا من أساليب التدرج في الدعوة خطوة خطوة تخفيفاً على العقل في القبول وتوطئة للتنقل من شيء إلى شيء عن طريق الرغبة والاشتياق ، فهل يعي الشباب الداعي إلى الله الدروس المستفادة؟

إن بعض الشباب المغالي لا يلتفت إلى هذا المبدأ ، وكل ما يهمه أن يصحح عقائد الناس بطريقة ينفر منها أكثر الناس ، وتراهم يخاطبون الناس جميعاً لا فرق عندهم بين عالم وجاهل ، أمي ومتعلم ، حضري أو ريفي ، الكل عندهم سواء في الخطاب ، ويناقشون معهم مسائل لو عرضت على أئمة كبار لتحرجوا أن يتكلموا فيها.

والذي لا يفقه ما عرضوه عليه من عقيدة التوحيد ، يصبح صاحب عقيدة بها من الدخن والدخل ما يفسدها هكذا يقولون له.[٢]

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٢٠ ص٥٩ – ٦٠.

(٢) انظر : الدعوة قواعد وأصول ص١٨٨ – ١٨٩ بتصرف.

٤- الغلظة والفظاظة في الدعوة :

إن من مظاهر الغلو والتطرف ، ما يلاحظ على المغالين من غلظة في التعامل، وخشونة في الأسلوب ، وتغليب جانب الترهيب على جاب الترغيب، والنذارة على البشارة ، لقد ملئوا عقول المدعوين بالنار وما فيها، وبأهل النار ومصيرهم، ولا يخفى على مسلم داع إلى الله على بصيرة، أن هذا أمر مخالف لمنهج الله تعالى ومنهج رسوله ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى.

فالله تعالى يأمرنا أن ندعو إلى الله بالحكمة لا بالحماقة ، وبالموعظة الحسنة، لا بالعبارة الخشنة ، وأن نجادل بالتي هي أحسن **(ادعُ إلى سبيلِ ربكَ بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلُهم بالّتي هي أحسنُ)** [النحل : ١٢٥]

ويصف الرسول ﷺ وهو سيد الدعاة بقوله : **(لقد جاءَكُم رسُولٌ من أنفسكُم عزيزٌ عليهِ ما عَنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم)** [التوبة : ١٢٨]

ولأن الفظاظة منفرة ، والخشونة منفرة ، والقلوب لا تميل ولا تستلين إلا بالتأليف ولين القول ، والرفق في التبليغ.

(وما كان محمد ﷺ فظا غليظا ، ولا كظا خشنا ، وإنما كان سمحاً سهلاً لينا، ولو كان فظا غليظا ما بلّغ من الحق إلا القليل ، وما نال من الناس إلا النفور ، ولكن الله يبرأ نبيه من ذلك فيقول: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

فإذا كان بعض الدعاة اليوم أفظاظا غلاظا مع من يدعونهم إلى الخير أو يعظونهم من المسلمين ، فإن الله تعالى يوصي نبيين من أنبيائه – موسى وأخاه هارون – أن لا يغلظا القول ، وأن يلين مع أكفر الكفار وأطغى الطغاة ، فرعون ، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[١]، فقال لهما: ﴿ **فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[طه : ٤٤]

ولم يذكر القرآن الغلظة والشدة إلا في موضعين [٢]:

---

(١) من مرتكزات الخطاب الدعوي ص ١١٣.

(٢) الصحوة الإسلامية ص ٥٠ – ٥١ .

الأول – في قلب المعركة ومواجهة الأعداء ، حيث توجب العسكرية الناجحة، الصلابة عند اللقاء ، وعزل مشاعر اللين حتى تضع الحرب أوزارها ، وفي هذا يقول تعالى : ﴿ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [التوبة : ١]

والثاني في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها ، حيث لا مجال لعواطف الرحمة في إقامة حدود الله في أرضه : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النور : من الآية ٢]

أما في مجال الدعوة ، فلا مكان للعنف والخشونة ، ومن ثم فقد أمر رسول الله بالرفق وبشر بعطاء الأجر عليه من الله تعالى قال ﷺ : "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) [١] ، وعنه: ﷺ أيضا : "من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف) [٢] وذكره الفردوس لعبدالله بن عمرو[٣] من أمر بمعروف ، فليكن أمره بمعروف" وقال ﷺ : "لم يدخل الرفق في شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه"[٤]

٥- إخفاء الحسنات وتضخيم السيئات :

ومن مظاهر الغلو والتطرف : التركيز على السلبيات دون الإيجابيات ، وسوء الظن بالآخرين ، والنظر إليهم من خلال منظار أسود ، يخفي حسناتهم ، على حين

(١) متفق عليه صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين المعاندين. باب إذا عرض الذمي بسب النبيﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليكم. حديث رقم ٦٥٢٨، وصحيح مسلم واللفظ له. كتاب البر والصلة والأدب. باب فضل الرفق حديث رقم ٢٥٩٣.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ج٦ ص٩٩ تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٠هـ. وفيض القدير/ عبدالرؤوف المناوي ج٦ ص٨٨. ط/ المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٥٦هـ.

(٣) انظر الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي ج٣ ص ٥٨٥. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول . ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٦م.

(٤) صحيح ابن حبان ج٢ ص ٣١١. والأحاديث المختارة/ المقدسي ، واللفظ له ج٥ ص ٥٣ تحقيق/ عبدالله بن دهيش ط/ مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ. (روي في الصحيح من حديث عائشة إسناده حسن) ومسند الإمام أحمد ج٣ ص٢٤١ ط/ مؤسسة قرطبة مصر. وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٤٠٠ تحقيق أحمد القلاش ط/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة.

يضخم سيئاتهم. فما أحد يسلم من العيوب ؛ فلا يوجد صديق بلا عيب ، ولا داع بلا عيب، ولا عالم بلا عيب ، ولا رئيس ولا مرؤوس بلا عيب، يقول سعيد بن المسيّب: (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا فيه عيب ؛ ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه).

فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله ، أما هؤلاء المغالون فيبقون نقصه ، وينسون فضله :

لا يُزْهِدنّك في أخ لك أن تراه زل زلة
ما من أخٍ لا يُعاب ولو حَرِصت الحرص كله

وقد يُكره من بعض الناس أشياء ، ولكن عندما يُفتقدون ، ويُخالط من هم أسوأ منهم يُدرك الخير الذي كان فيهم كما قيل:

بكيت من عُمْرٍو فلما تركته وجربت أقواما بكيت على عمرو

(فهناك طريقتان للحياة : طريقة سلبية قائمة على رؤية مساوئ الرجال والأعمال ، تَرى الأخطاء ليس لإصلاحها بل لاستغلالها بشكل هدام والعودة إليها بمناسبة وبدون مناسبة ، وطريقة أخرى تنظر إلى الأمور بعين الرضا والحث عن محاسن الرجال لتنميتها وتحسينها ، وترحم ضعفهم وأخطاءهم ، وتعمل على إصلاحها)[١].

الأصل عند المغالي أو المتطرف هو الاتهام ، والأصل في الاتهام الإدانة، خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين : أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته.

تَجد المغالي دائماً يسارع إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب ، فلا يلتمس المعاذير للآخرين ، بل يفتش عن العيوب ، ويتقمم الأخطاء ، ليضرب بها الطبل، ويجعل من الخطأ خطيئة ، ومن الخطيئة كفراً !!

أما حال السلف رضوان الله عليهم فقد كان على النقيض من ذلك يقول عبدالله بن المبارك: (إني لأسمع الحديث فأكتبه ، وما من رأي أن أعمل به ، ولا أن أحدث به ولكن أتخذه عدة لأصحابي إن عمل به أقول عمل بالحديث) [٢]

(١) انظر فن التعامل مع الناس د/ عبدالله الخاطر ط/ مطابع أضواء البيان – الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٢) انظر : الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ٤٠٢. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

وهكذا كانوا يحفظون من الحديث ما يعذرون به مخالفهم فجعلوا همهم في الإعزار وليس في تصيد الأخطاء.

أما المغالون أو المتطرفون فتجدهم إذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله ، ورفع الحرج عنهم ، فهو في نظرهم متهاون بالدين.

وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلائم ذوق العصر، متكلماً بلسان أهل زمانه ليبين لهم ، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارة الغرب .. وهكذا.

ولم يقف الاتهام عند الأحياء ، بل انتقل إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، فلم يدعو شخصية من الشخصيات المرموقة إلاّ صوبوا إليها سهام الاتهام ، فهذا ماسوني ، وذلك جهمي ، وآخر معتزلي.

حتى أئمة المذاهب المتبوعة – على ما لهم من فضل ومكانة لدى الأمة في كافة عصورها – لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم.

بل إن تاريخ الأمة كله – بما فيه من علم وثقافة وحضارة – قد أصابه من هؤلاء ما أصاب الحاضر وأكثر ، فهو عند جماعة تاريخ فتن وصراع على السلطة، وعند آخرين تاريخ جاهلية وكفر ، حتى زعم بعضهم أن الأمة كلها قد كفرت بعد القرن الرابع الهجري ! (١)

٦- السقوط في هاوية التكفير ...

ويبلغ هذا المغالي أو المتطرف ذروته ، حين يُسقط عصمة الآخرين ، ويستبيح دماءهم وأموالهم ، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك عندما يخوض لّجة التكفير ، ويتهم جمهور النّاس بالخروج من الإسلام ، أو عدم الدخول فيه أصلاً ، كما هي دعوى بعضهم ، وهذا يمثل ذروة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر أبناء الأمة في واد آخر.

يقول على بن قاسم : (الناس على طبقات ثلاث فالطبقة العالية: العلماء الأكابر وهم يعرفون الحق والباطل وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم الفتن لعلمهم بما عند

(١) انظر في ذلك : الصحوة الإسلامية ص ٥٤ – ٥٥ وفقه الخلاف د/ عوض القرني ٣٩ – ٤٠ ط/ دار الأندلس الخضراء الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. والائتلاف في عدم الإنكار في مسائل الاختلاف / سعيد باشنفر ص ٢٨ ط/ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر . ١٤٢١هـ.

بعضهم بعضا والطبقة السافلة (أي الأدنى) عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدرون به إن كان محقا كانوا مثله ، وإن كان مبطلاً كانوا كذلك.

والطبقة المتوسطة : وهي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين وهم الذين لم يمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة ، فإنهم إذا رأوا أحدا من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور ، صوبوا إليه سهام التقريع ، ونسبوه إلى كل قول شنيع ، وغيروا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة ، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق. (١)

وهذا الصنف الثالث من أمثال ، الخوارج في فجر الإسلام ، والذين كانوا من أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية ، صياماً وقياماً وتلاوة قرآن ، ولكنهم أتوا من فساد الفكر ، لا من فساد الضمير.

ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلاّ بيقين مثله ، فاليقين لا يزول بالشك ، والمعاصي لا تُخرج المسلم من الإسلام ، حتى الكبائر منها. كالقتل ، والزني، وشرب الخمر . ما لم يستخف بحكم الله فيها ، أو يرده ويرفضه . (٢)

ولهذا أثبت القرآن الأخوة الدينية بين القاتل المتعمد وولى المقتول المسلم ، بقوله: (فَمَن عُفى لَهُ من أخيهِ شيءٌ فاتّباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان) [البقرة : ١٧٨] وقال النبي ﷺ لمن لعن الشارب الذي عوقب في الخمر أكثر من مرة: (لا تلعنوه ، فوالله ما علمت ، إنه يحب الله ورسوله) (٣).

وفاوتت الشريعة بين عقوبة القتل والزنى والسكر ، ولو كانت كلها كفراً ، لعوقب الجميع عقوبة المرتد.

(١) البدر الطالع للشوكاني ط/ مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ.

(٢) انظر الصحوة الإسلامية ص ٥٨ – ٦٠ بتصرف.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة حديث رقم ٦٧٨ ج ١٢ ص ٧٧ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي / محب الدين الخطيب ط/ دار المعرفة بيروت ١٣٨٩.

يقول الإمام ابن حزم: (وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا وإن كل من اجتهد في شئ من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على حال، إن أصاب الحق فأجران ، وإن أخطأ فأجر واحد.

وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود رضي الله عن جميعهم وهو قول من عرفنا قوله في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم ، لا نعلم منهم في ذلك خلافاً أصلا. (١)

(والحاصل أن لا تفسيق ولا تضليل مع الاجتهاد والتأويل ، وإن كان ليس كل اجتهاد صوابا ولا كل تأويل مقبولا ، ولكن كلامنا في ذات المجتهد والمأول (٢).

ومن ثم فإن كل الشبهات التي استند إليها المغالون أو المتطرفون في التكفير، مردودة بالمحكمات البينات من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وهو فكر فرغت منه الأمة منذ قرون ، فجاء هؤلاء ، يجددونه ، وهيهات ...

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج٣ ص ٢٤٧. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الجرح والتعديل للقاسمي ص ٢٣.

المبحث الخامس

أثر الغلو أو التطرف على الدعوة والدعاة

إن للغلو في الدين ، أو التطرف آثارا بالغة الخطورة ، وعواقب مهلكة ، سواء على العاملين في ميدان الدعوة ، أو على الدعوة الإسلامية ، ومن ثم فقد ذم الإسلام الغلو في الدين ، أو التطرف ، بل إن رسول الله ﷺ أخبر بهلاكهم فقد قال سيد الدعاة ﷺ فيما روي عن الأحنف بن قيس عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ "هلك المتنطعون" . قالها ثلاثاً "(١) .

قال النووي : أي : المتعمقون ، الغالون ، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٢).

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : "إياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالدين العتيق"(٣) .

قال ابن حجر : وفيه التحذير من الغلو في الديانة ، والتنطع في العبادة ، بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع ، وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة. (٤)

وما أحسن قول ابن العماد في منظومته :

لم يجعل الله في ذا الدين من حرج ... لطفا وجودا على أحيا خليقته

وما التنطع إلا نزغة وردت ... من مكر إبليس فاحذر سوء فتنته

إن تستمع قوله فيما يوسوسه ... أو نصح رأي له ترجع بخيبته

القصد خير وخير الأمر أوسطه ... دع التعمق واحذر داء نكبته(٥).

ودونك طرفا من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٥٥) ، حديث : ٢٦٧٠ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٢٠).

(٣) إعلام الموقعين (٤/١٥٠) .

(٤) فتح الباري (١٢/٣٠١).

(٥) إعانة الطالبين (١/١٣١) .

وأقسم آثار الغلو في الدين أو التطرف إلى قسمين :

أولاً : آثاره على الدعاة :

أما آثار الغلو في الدين أو التطرف على الدعاة ، فكثيرة ، نذكر منها :

١- الكراهية والنفور :

إن الغلو أو التطرف يسبب كراهية الناس ، ونفورهم من الداعي المغالى. ذلك أن المغالي المتطرف يقف في الطرف بعيداً عن الوسط ، فكرا كان ذلك أو سلوكاً ، ومثل هذا لا تحتمله طبيعة البشر العادية ، ولا تصبر عليه ، ولو صبر عليه قليل من المدعوين ، لم يصبر عليه جمهورهم ، وحينئذ يكون النفور ، وتكون الكراهية .

ولعل هذا الأثر هو ما أشار إليه رسول الله ﷺ فقد جاء ف الصحيحين : (أن رجلا قال والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله ﷺ في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ثم قال إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة [١]. وما أشار إليه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بقوله (أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده قالوا وكيف ذاك أصلحك الله قال يكون أحدكم إماما فيطول على القوم حتى يبغض إليهم ما هو فيه ويقعد أحدكم قاصا فيطول على القوم حتى يبغض إليهم ما هم فيه) [٢] فقول النبي ﷺ (أن منكم منفرين فيه تفسير للمراد بالفتنة في قوله في حديث معاذ أفتان أنت ويحتمل أن تكون قصة أبي هذه بعد قصة معاذ فلهذا أتى بصيغة الجمع وفي قصة معاذ واجهه وحده بالخطاب ... قلت وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي عن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال له أنت إمام قومك واقدر القوم بأضعفهم) إسناده حسن وأصله في مسلم قوله فإن فيهم في رواية سفيان فإن خلفه وهو تعليل الأمر المذكور ومقتضاه أنه متى لم يكن فيهم متصف بصفة من المذكورات لم يضر التطويل ... وقال اليعمري الأحكام إنما تناط بالغالب لا بالصورة النادرة فينبغي

---

(١) متفق عليه البخاري واللفظ له كتاب الآذان باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، ومسلم كتاب بدء الآذان باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة.

(٢) فتح البارى ج٢ ص ١٩٥ شعب الإيمان للبيهقي ج٦ ص ٢٧٦ ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ الطبعة الأولى تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغل.

للأئمة التخفيف مطلقا قال وهذا كما شرع القصر في صلاة المسافر وعلل بالمشقة وهو مع ذلك يشرع ولو عملا بالغالب لأنه لا يدري ما يطرأ عليه وهنا كذلك قوله الضعيف والكبير كذا للأكثر ووقع في رواية سفيان في العلم فإن فيهم المريض والضعيف وكأن المراد بالضعيف هنا المريض وهناك من يكون ضعيفاً في خلقته كالنحيف والمسن[١].

٢- الفتور أو الانقطاع .

إن الغلو أو التطرف قصير العمر ، والمداومة عليه في العادة غير متيسرة، إذ المرء ملول ، وطاقته محدودة ، فإن صبر يوما على التشدد فسرعان ما تكل دابته ، أو تحرن عليه مطيته في السير ، ونعني به جهده البدني ، والنفسي ، فيسأم ، ويدع العمل حتى القليل منه أو يأخذ طريقا آخر ، على عكس الطريق الذي كان عليه ، أي ينتقل من الإفراط إلى التفريط ، ومن التشدد إلى التسيب. ولعل هذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ في أكثر من حديث ، ومنه قوله ﷺ : (فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)[٢] أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا ، وقوله ﷺ (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) [٣] والمنبت: أي الذي عطب مركوبه من شدة السير مأخوذ من البت وهو القطع أي صار مقطعاً لم يصل إلى مقصوده وفقد مركوبه الذى كان يوصله لو رفق به[٤] وحديث عائشة أنها قالت (كان لرسول الله ﷺ حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فيجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دوم عليه وإن قل وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه . [٥]

---

(١) فتح الباري ج٢ ص ١٩٩٩ ط/ دار المعرفة بيروت

(٢) سنن البيهقي ج٣ ص١٨ ط/ مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م تحقيق محمد عبدالقادر عطا.

(٣) سنن البيهقي ج٣ ص١٨.

(٤) فتح الباري ج١١ ص ٢٩٧.

(٥) متفق عليه صحيح البخاري كتاب اللباس باب الجلوس على الحصير ونحوه حديث رقم ٥٥٢٣ وصحيح مسلم واللفظ له كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره حديث رقم ٧٨٢.

إن القلوب كمعدن الحديد تصدأ من كثرة الاستعمال ، وتكل وتمل ، وهذا ما علمنا إيا رسول الله ﷺ حين قال : (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) [١] فإن القلوب إذا كلت ملت.

وإن المغالين يبحثون عن كل صعب ليقدموه للناس على أنه الإسلام، أو هو من الإسلام ، والحق أنه الهوى المتبع وليس الإسلام ، لأن العسر الذي ينادي به بعضهم إنما نخشى أن يكون هذا السلوك صدر من أعماق النفس الأمارة بالسوء ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾ [المؤمنون : من الآية ٧١] ولذلك كانت العصمة من ذلك هي الاقتداء برسول الله ﷺ في صغير الأمر وكبيره [٢].

فهذا رسول الله ﷺ يبن لنا طبيعة النفس الإنسانية ، في الحديث الصحيح (إن لكل عمل شرة وإن لكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ومن كانت شرته ذلك فقد هلك) [٣] (وزاد في رواية بن خزيمة من طريق حصين عن مجاهد إن لكل عامل شرة[٤] وهو بكسر المعجمة وتشديد الراء ولكل شرة فترة[٥] فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته ذلك فقد هلك [٦].

٣- تبديد الجهد وتضيع العمر في غير ما طائل ولا فائدة :

إن جهد المغالي أو المتطرف مصروف إلى ثانويات الأمور سلوكا وفكرا، قولا وعلما ، دون أصولها ، وهو بهذا يضيع عمره ، ويبدد جهده ويقضي وقته في غير ما طائل ولا فائدة ، وصدق الله العظيم في إنبائه عن الأخسرين أعمالاً :﴿ **قُلْ هَلْ**

---

(١) صحيح مسلم كتاب التوبة باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا حديث رقم ٢٧٥٠. سنن الترمذي ٥٩ باب حديث رقم/ ٢٥١٤ ج٤ ، ص ٦٦ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٢) انظر الدعوة قواعد وأصول ص ٢٠٤ .

(٣) صحيح ابن حبان ج١ ص ١٨٧ ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤ه، ١٩٩٣م الطبعة الثانية تحقيق شعيب الأرنؤوط . وسنن الترمذي ج٤ ص٦٣٥ حديث رقم ٢٤٥٣.

(٤) الشرة بلوغ أقصى الجد والاجتهاد والحرص على الاتقان.

(٥) الفترة هي الفتور أي التراخي من بعد الجد والجنوح للكسل وإيثار الدعة والراحة. انظر الدعوة قواعد وأصول ص ٢٠٥ .

(٦) فتح الباري ج٤ ص ٢١٨.

نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف ١٠٣ : ١٠٤] جاء في تفسير هذه الآية : عن مصعب قال سألت أبي يعني سعد بن أبي وقاص عن قول الله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً أهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين ... وهذه الآية الكريمة عامة في كل من عبدالله طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ وعمله مردود ... وقال في هذه الآية الكريمة قل هل ننبئكم أي نخبركم بالأخسرين أعمالاً ثم فسرهم فقال الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أي عملوا أعمالاً باطلة شريعة مشروعة مرضية مقبولة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون[١].

٤- التقصير في حقوق الآخرين :

فالمغالي أو المتطرف يدور في فلك أفكار معينة ، أو سلوكيات محددة، الأمر الذي ينتهي به إلى التقصير في حقوق الغير ، مما ينبغي عليه أداؤها ، ومراعاتها.

ولعل ذلك يظهر جلياً في أمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو بن العاص بالموازنة فيما يجب عليه من حقوق ، تجاه ربه وتجاه الناس. حيث قال له ﷺ (يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل قلت بلي يا رسول الله قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا) [٢] وهكذا علم

---

(١) انظر تفسير ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ط/ دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ والقرطبي عند تفسيره لهذه الآية ط/ دار الشعب القاهرة الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني، وفتح الباري ج٨ ص٤٢٥.

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح باب لزوجك عليك حق حديث رقم ٤٩٠٣ والمسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم الأصفهاني ج٣ ص ٢٣٦ ط/ أولى. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. ومسند الإمام أم حديث رقم ٦٨٦٧ ج٢ ص١٩٨ ط/ مؤسسة قرطبة مصر.

الرسول ﷺ ذلك الصحابي الجليل ما يصلح لأن الأولى تقديم الواجبات على المندوبات، وأن من تكلف الزيادة على ما طبع عليه يقع له الخلل في الغالب. (١)

٥- الاضطراب النفسي :

إن المغالي أو المتطرف يريد للمرضى أن يشربوا الدواء دفعة واحدة لا كما حدد الطبيب تدرجا ، ولو فعل المرضى ذلك لهلكوا ، ولكن الحكمة تقتضي التدرج في أخذ الدواء لينعم بالشفاء بإذن الله تعالى .

إن المغالين أو المتطرفين يحملون المدعوين على ما يوافق أهواءهم ، وما يريدون ، فإذا لم يستحسنوه ، ولم يوافقوهم على ما يريدونه ويهوونه ، تكون العاقبة حينئذ القلق ، والاضطراب النفسي ، بل العدوان على الآخرين ، حيث لم تُحقق رغبتهم، ولم تُجب طلبتهم ، وإن الواقع المعاش ليشهد بذلك ، حتى إنك لترى المغالي أو المتطرف أضيق الناس صدرا ، وأشدهم قلقا واضطرابا ، وأكثرهم فورانا وغضبا، بل ربما استخداما للقوة لحمل الآخرين على ما يريد .

من ذلك كله نستخلص قاعدة هامة وهي (وجوب الوقوف عند حد الشارع من عزيمة ورخصة ، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق للشرع أولى من الأشق المخالف له ، فهل يعي المتشددون هذا الفهم الدقيق ؟ إن المجتمع الأول كانت الصفة المميزة له هذا التيسير على الناس حتى أصبح سلوكهم لا أقول في العبادات فحسب بل وفي المعاملات التيسير على الناس .

إن الخلط عند الشباب ، بين أن تأخذ أنت – أيها الداعي – بالعزيمة وتربي نفسك على مكارم الأخلاق وتضع نصب عينيك بيعة بينك وبين الله لا تتحقق إلا بصفات ثمان ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٢]

فتحاول الوصول إليها فتجتهد وتجاهد نفسك وتحاسبها على الهفوة ، وبين أن تدعوا الناس لدين الله فتتركهم يترخصون وترفق بهم ولا تحملهم ما لا طاقة لهم به(٢)، ولا تنس قول الله تعالى :﴿ **كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء : من الآية ٩٤]

---

(١) انظر الدعوة قواعد وأصول ص ٢٠٥.

(٢) الدعوة قواعد وأصول ص ٢٠٦.

٦- تسرب داء العُجب إلى بعض الدعاة :

إن الغلو أو التطرف يكون من أسباب تسرب العُجب إلى نفوس الدعاة كما وصفهم رسول الله بقوله : "سيكون في أمتي اختلاف وفرقه ، وسيأتي قوم يعجبونكم، أو تعجبهم أنفسهم ، يدعون إلى الله ، وليسوا من الله في شيء ، يحسبون أنهم على شيء، وليسوا على شيء"(١) .

وحذر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه من هذا الداء بقوله : (إن أخوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه ، فمن قال : إنه مؤمن ، فهو كافر ، ومن قال : هو عالم ، فهو جاهل ، ومن قال : هو في الجنة ، فهو في النار(٢) .

ثانياً أثره على ميدان الدعوة :

وأما أثار الغلو في الدين أو التطرف على الميدان الدعوى فكثيرة أذكر منها:

١- الفرقة والتمزق والتراشق :

إن المغالين أو المتطرفين ، لقصور فهمهم ، وقلة علمهم ، لا يلتقون على رأي واحد ، ولا يقبل الآخرون رأيهم ، وحينئذ تكون الفرقة ، ويكون التمزق.

ومن ثم ينتشر في الميدان ، الجرأة على العلماء ، والدعاة ، والطعن في نواياهم ، واتهامهم بالمداهنة للحاكم ، وعدم الاعتداد بقول عالم من غير القرون الثلاثة المفضلة ، أو من الأحياء الثقاة ، وإنما يعدونهم في ضلالة ، وبعضهم يكفرهم. ومن ثم يصبح ميدان الدعوة ميدانا لتراشق الدعاة ، وينشغل بعضهم ببعض ، عن دعوة المدعوين وإصلاحهم .

يوضح ذلك إجابة ابن عباس رضي الله عنهما على سؤال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيما روي : (عن إبراهيم التيمي قال خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم يحدث نفسه فأرسل إلى ابن عباس فقال كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وكتابها واحد وقبلتها واحدة فقال ابن عباس يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم أنزل وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يعرفون فيم نزل

---

(١) مصنف عبدالرزاق (١٥٤/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٥١٣/١) .

فيكن لكل قوم فيه رأي فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا فزجره عمر وانتهره فانصرف ابن عباس ثم دعاه بعد فعرف الذي قال ثم قال إيه أعد علي[١]

قال تعالى :﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام : من الآية ١٥٣] وقوله تعالى :﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : من الآية ١٣] ونحو هذا من القرآن فقد أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم إنما هلك من كان قبلكم بالمراء والخصومات في دين الله [٢].

٢- ينزلق في الميدان كثير من أحداث الأسنان :

إن المتنطعين والمغالين ، يستغلون اندفاع الشباب ، وحماسهم ، وتهورهم، فيستقطبونهم إلى الغلو أو التطرف ، عن جهل بعواقب الأمور ، وقلة خبرة بميادين الدعوة ، ولذلك وصف النبي ﷺ من سيخرج منهم في آخر الزمان بالحداثة والسفاهة ، فيقول ﷺ : "يخرج قوم في آخر الزمان ، أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتهم فاقتلهم ، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة"[٣]

مرق السهم من الرمية مروقا من باب قعد: نفذ من الجانب الآخر ، والرمية ما يرمى من الحيوان ذكرا كان أو أنثى [٤].

---

(١) سنن سعيد بن منصور ج١ ص١٧٦ ط/ دار العصيمي الرياض ١٤١٤هـ الطبعة الأولى تحقيق د/ سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد. ومفتاح الجنة / عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ج١ ص٤٦ ط/ الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ١٣٩٩هـ الثالثة والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج٢ ص١٩٤ الخطيب البغدادي أبو بكر ط/ مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣هـ تحقيق د/ محمود الطحان.

(٢) تفسير الطبري ج٤ ص٣٩ ط/ دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ.

(٣) متفق عليه صحيح البخاري. واللفظ له كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقول الله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وكان بن عمر يراهم شرار خلق الله وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين حديث رقم ٦٥٣١ ومسلم كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج حديث رقم ١٠٦٤.

(٤) الثمر الداني شرح رسالة القيرواني [٦٦٣/١] .

ويوصي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قبيصة قائلا: يا قبيصة بن جابر، إني أراك شاب السن ، فسيح الصدر ، بين اللسان ، وإن الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة ، وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب.[١]

٣- خلع عصا الطاعة ونبذ ولي الأمر :

يتجرأ بعض المتطرفين والمغالين على خلع عصا الطاعة على ولي الأمر، يدل على ذلك ، ما اتصف به الخوارج ، وما صنعوه بأولياء الأمر في العصور الأولى، وما نجده من امتداد لهم في العصور المتوالية وعصرنا الحاضر.

يقول ابن حجر : وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء.[٢]

ويزداد في زمن رخاء المسلمين ، ويظهر ذلك جليا في جريمة قتل عثمان رضي الله عنه. قال النفراوي: إنه لما حسنت في أيامه الفتوحات ، كالإسكندرية ، وإفريقية ، وفارس ، وسواحل الروم ، وغير ذلك ، وعمرت المدينة وصارت قبة الإسلام، وكثرت فيها الخيرات والأموال ، بطرت الرعية بكثرة الأموال والخير والنعم، وفتحوا أقاليم الدنيا ، واطمأنوا وتفرغ الوشاة ينقمون على خليفتهم عثمان – رضي الله عنه – .... فتكلموا فيه إلى أن قالوا : هذا ما يصلح للخلافة ، وهموا بعزله ، وصاروا لمحاصرته فحاصروه في داره أياما ، وكانوا أهل جفاء ، ووثب عليه ثلاثون ، فذبحوه والمصحف بين يديه ، وهو شيخ كبير. وقتل – رضي الله عنه – وهو ابن ثمانين سنة[٣].

وإن خلع عصا الطاعة هذا يفسد على الدعوة ميدانها فالدعوة تحتاج إلى حكمة في التعامل ، ومحاولة كسب أصحاب الشأن ، وولاة الأمر.

٤- الحيلولة دون كسب الأنصار.

إن من لوازم الغلو أو التنطع العنف ، والشدة ، والغلظة ، وهذه الصفات تحول دون كسب الأنصار ، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، ورفق بها، وعلى بغض من أساء إليها ، وقسا عليها ، إن المغالين أو المتطرفين ، يخلطون بين

---

(١) تفسير القرطبي (٤٩/٧) .

(٢) فتح الباري (٦٩/٨) .

(٣) فتح الباري (٢٧٩/١١) .

الصراحة في الحق والخشونة في الأسلوب ، مع أنه لا تلازم بينهما ، والداعية الحكيم هو الذي يوصل الدعوة إلى غيره بألين الطرق وأرق العبارات ، دون أدنى تفريط في المضمون.

عن الأسلوب الخشن يضيع المضمون الحسن ، والغلظة تنفر ، وصدق الله العظيم في وصف نبيه ﷺ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : من الآية ١٥٩]

إن النصح علاج مُرّ فليصحبه شيء من حلو الكلام ، فكن من الذين يعلمون الحق ويرحمون الخلق ، واسمع إلى يحيى بن معاذ يقول : أحسن شيء كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رقيق [١].

إن العنف في الدعوة لا يأتي بخير ، فلا شيء يشين الدعوة أكثر من العنف ، وإن الرفق هو القنطرة التي بين الدعة والمدعوين ، فإن أحكموا وضعها وصلوا للمدعوين ما يريدون ويرغبون ، فلا يتعجل الدعاة عرض دعوتهم على الناس قبل أن يضعوا قنطرتهم ، ويثبتونها باللين ، ويزينونها بالرفق حتى مع أعدى أعداء الدعوة.

إنه لابد من الترفق في الدخول إلى عقل المدعو ، والتسلل إلى قلبه حتى نلين من شدته ، ونكفكف من جموده ، ونطا من كبريائه .

٥- الحرج والمشقة على النفوس :

قال ﷺ : "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدجلة ، والقصد القصد ، تبلغوا"[٢] .

قال ابن حجر : "وقوله : "أوغلوا" بكسر المعجمة ، من الوغول ، وهو الدخول في الشيء ، قوله : "واغدوا وروحوا وشيئاً من الدلجة" ، في رواية الطيالسي عن ابن

---

(١) المنطلق محمد الراشد ص ٢٦. ط/ دار المنطلق دبي الإمارات العربية المتحدة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٢) سنن البيهقي الكبري (١٨/٣) ، حديث : ٤٥٢٠ ، قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله موثقون إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسا (مجمع الزوائد ٦٢/١) ، وانظر العلل المتناهية ابن الجوزي دار الكتب العلمية بيروت الأولى تحقيق خليل الميس (٨٢١/٢).

أبي ذئب وخطا من الدلجة ، والمراد بالغدو : السير من أول النهار ، وبالرواح السير من أول النصف الثاني من النهار.

والدلجة بضم المهملة ، وسكون اللام ، ويجوز فتحها ، وبعد اللام جيم: سير الليل ، يقال : سار دلجة من الليل ، أي : ساعة ، فلذلك قال : "شيء من الدلجة" لعسر سير جميع ، الليل ، فكأن فيه إشارة إلى صيام جميع النهار ، وقيام بعض الليل ، وإلى أعم من ذلك من سائر أوجه العبادة ، وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في العبادة. قوله: "والقصد القصد" : بالنصب ، على الإغراء ، أي : الزموا الطريق الوسط المعتدل" [١].

قال ابن تيمية : إن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله ، هو الاقتصاد في العبادة ، كما قال النبي ﷺ : عليكم هديا قاصدا ، عليكم هديا قاصدا"[٢] . وقال: "إن هذا الدين متين ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فاستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد ، تبلغوا" ، وكلاهما في الصحيح. وقال أبي بن كعب: اقتصاد في سنة ، خير من اجتهاد في بدعة. فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنعه عن فعل واجب انفع له منها ، مثل أن يصوم صوما يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل أو الفهم الواجب أو يمنعه عن الجهاد الواجب. وكذلك إذا كانت توقعه في فعل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها [٣].

٦- أنه يناقض ما بنيت عليه الدعوة الإسلامية من السماحة :

لقد بين النبي - ﷺ - بأن هذا الدين بني على اليسر ، وكان يقول لأصحابه حين يبعثهم : "يسروا ولا تعسروا"[٤] ووصف النبي - ﷺ - الرسالة التي بعث فيها

---

(١) فتح الباري (٢٩٧/١١ - ٢٩٨) .

(٢) صحيح ابن خزيمة (١٩٩/٢) ، حديث : ١١٧٩ ، والمستدرك (٤٥٧/١) ، حديث : ١١٧٦، وسنن البيهقي الكبرى (١٨/٣) ، حديث : (٤٥١٩) ، ومجمع الزوائد (٦٢/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١١٤/٢٠)

(٤) متفق عليه صحيح البخاري كتاب العلم باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا حديث رقم ٦٩ وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث رقم ١٧٣٤.

بالحنيفية السمحاء ، حيث قال : "بعثت بالحنيفية السمحاء". ووصف الله تعالى رسوله - ﷺ - :﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف / ١٥٧]

وقال ﷺ : بعثت بالحنيفية السمحاء"[١] . قال ابن تيمية : الحنيفية ضد الشرك، والسماحة ضد الحجر والتضييق.[٢]

وقال - ﷺ - لعلي ومعاذ - رضي الله تعالى عنهما - حين : وجههما إلى اليمن: "يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا"[٣] .

٧- خروج عن منهج الدعوة القويم :

لقد أمر النبي - ﷺ - بالإتباع ، ونهى عن الابتداع ، والغلو هو نوع من الابتداع في الدين. عن العرباض - رضي الله عنه - قال : صلى بنا رسول الله - ﷺ- الصبح ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا، قال: "أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا مجدعا ، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة "[٤].

قال ابن تيمية : "ففي هذا الحديث أمر المسلمين بإتباع سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين ، وبين أن المحدثات - التي هي البدع التي نهى عنها - ما خالف ذلك [٥]. ومن بين هذه المخالفات البعد عن منهج الوسطية في الدعوة الإسلامية التي أمرنا الله

(١) شرح سنن ابن ماجة ج١ ص ١٣٣ / السيوطي ط/ قديمي كتب خانة . كراتشي.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/١٤٤).
(٣) صحيح مسلم (٣/١٣٥٩) ، حديث : ١٧٣٣.
(٤) رواه ابن حبان (١/١٧٩) ، حديث : ٥ ، وأبو داود (٤/٢٠٠) حديث : ٤٦٠٧ ، والمستدرك (٤/٢٠٠) ، حديث : ٣٣٢ ، قال ابن القيم : هذا حديث حسن إسناده لا بأس به ، إعلام الموقعين (٤/١٤٠).
(٥) مجموع الفتاوى (٣١/٣٧) .

تعالى على لسان رسوله ﷺ بالسير عليها قال تعالى :﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨]

وقال تعالى واصفا الأمة التي تحمل هذه الدعوة :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة : ١٤٣]

٨- سبب هلاك الدعوات في سائر الأمم :

إن أحد أسباب هلاك أي دعوة من دعوات الأمم السابقة ، الغلو في الدين، وقد حذر منه الله تعالى في كتابه العزيز ، حيث قال :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة : ٧٧]

وروى ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال غداة العقبة : القط لي حصا، فلقطت له سبع حصيات ، هن حصى الخذف ، فجعل يفيضهن في كفيه ، ويقول : "أمثال هؤلاء فارموا ، ثم قال : أيها الناس ، إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"[١] .

٩- سبب لتزايد الإخفاق المتكرر في الحقل الدعوي:

إن الدعوة الإسلامية تشهد في عصورنا الحاضرة شرائح من أبناء الأمة، ينظرون إلى الحياة ، بمنظار الجزئية ، والآنية ، والمحلية ، والتلفيقية ، والسطحية، والتبريرية ، مما أوقع العمل الدعوي في إخفاقات متكررة .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : (وتوجد بين شباب المسلمين طوائف غريبة ، فيها ورثة لفكر الخوارج وفقه الظاهرية وخيال المجسمين ، وفيها من يرفع خسيسته بشتم الأئمة تحت علم السنة ، وفيها من يعيد الكهانة القديمة باسم دين الفطرة ، وفيها من ينشر البداوة ويحارب التقدم الحضاري باسم التقوى والمحافظة على معالم الإسلام [٢].

(١) رواه ابن ماجة (٢/١٠٠٨) ، حديث : ٣٠٢٩ ، والنسائي (٥/٢٦٨) ، حديث : ٣٠٥٧ ، وابن حبان (٩/١٨٣) ، حديث : ٣٨٧١ ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/١٢٧) ، حديث (٩٣١٧).
(٢) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية / الشيخ محمد الغزالي ص ١٣٧ الطبعة الثالثة كتاب الأمة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

وأمثال هؤلاء هلاك الأمة لا شك ولا ريب قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم، خطر على دعوة الإسلام الشاملة السمحاء ، ومع أنهم قلة إلا أنه جروا على الحقل الدعوي الكثير من المحن ، وشغلوا المجتمع بالجدل العقيم ، وشاركوا في خنق واقع المسلمين المتردي ، وخلقوا جيوبا وأحزابا صغيرة الحجم شديدة الخطر على فكر أبناء الأمة .

وسربوا الحزن والأسى إلى قلوب المعتدلين من الدعاة ، وتأولوا بعض النصوص التي كان لها الأثر الفعال في تزايد الإخفاق المتكرر في الحقل الإسلامي ، وبسببه أصبح العمل الإسلامي في البلاد العربية المتطلعة إلى الأحسن – أشبه بحركات المجانين والصبيان والمعاتيه ، وصار الجهاد أشبه بانتفاضات من تسمى وتكنى بالثوريين من تفجير وخبط عشوائي وخطف للطائرات المدنية وإشاعة الذعر والفوضى بين الآمنين من العزل والنساء والأطفال وعبث ولهو كفعل المتمردين والمنتحرين ، لا أكثر الله من أمثال هؤلاء فإنهم أبعدوا النجعة وخرجوا عن الجادة [1].

ولا تقوم أمة الإسلام إلا على الجهاد ولا نريده إلا على هدى المعصوم وجهاد رسول الله ﷺ رحمة وإحياء لا إبادة وفوضى ، على قواعد وأصول الحكيم العليم التي لا تقبل الطيش ولا الحمق ولا الغفلة والسذاجة ، جهاد إسلامي صاعد مترفع يحقق في كل يوم نصرا وكسبا وعزا ومجدا للأمة الإسلامية ، وتوحيدا لصفوفها ، وتجميعها لوحدتها ، جهاد يكسب الأمة قوتها ، ويشارك في بنا الأمة ونهضتها المرتقبة قريبا ، جهاد يحمل أبناؤه من الفكر المستنير الذي يفيض على المجتمع القوة العلمية والخلق الرفيع ، والخالي من لوازم الغلو والتطرف والتعنت الأعمى.

(١) انظر حقيقة التطرف الديني في ضوء الكتاب والسنة د/ يوسف صديق ص ١٦ ط/ مكتبة ابن تيمية الكويت.

المبحث السادس

سبل علاج الغلو في الدين أو التطرف

مما ينبغي مراعاته عند معالجة ظاهرة مثل ظاهرة الغلو أو التطرف ، بيان الفرق بين نوعين من الغلو أو من التطرف:

أولا – الغلو أو التطرف الذي هو فعلاً غلو في الدين ومجاوزة للحد وتطرف وانحراف عن سواء السبيل كغلو وتطرف بعض الجماعات التكفيرية الموجودة في بعض البلاد العربية ، فهذا لا شك غلو وانحراف.

وثانياً:- ما تسميه وسائل الإعلام الغربية أو العربية غلواً أو تطرفاً ، وهو في الحقيقة ليس شيئاً من ذلك وإنما هو دعوة إلى الله ، وإلى دينه ، دعوة إلى تحكيم شريعته والعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ، فينبغي أن يفرق بين هذا وذاك.

والواقع يبرهن على أن الغلو موجود في كل مكان وفي كل عصر ومصر، وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن الخوارج لا ينقطعون بل كلما انقرض منهم قرن ظهر قرن آخر إلى آخر الزمان.

لكنه هل يمكن القضاء على الغلو أو التطرف ؟ وهل يمكن القضاء على الغلاة والمتطرفين ؟ نعم .

لكن هل يقضي عليهم كما يتصور بالسجن والرصاص والمقاصل والمجازر بالطريقة التي يفعلها بعض المسؤولين؟ كلا فهذا في النهاية اعتقاد وفكر والفكر إنما يواجه بالفكر لا يحارب بالرصاص وإنما يواجه بالحجة هذا أولاً.

وثانياً : – سبق وأن بينا أن الغلو أو التطرف إنما هو نتاج الضغط والإرهاب والتعسف، ولذا فالضغط والإرهاب والتعسف لا يزيده إلا مضاء وقوة وإصراراً وهذا التعسف هو المسوغ الذي يحرق صبر المعتدلين فالمعتدل يوماً بعد يوم يفقد اتزانه لأنه يجد من شراسة الخصومة والقسوة وإغلاق المنافذ في وجه الدعوة ما يكون مسوغاً وحجة لأولئك الغلاة.

فلماذا يصر بعض المسؤولين في الدول والحكومات على مواجهة ما يسمونه بالغلو أو التطرف ، بل على مواجهة الدعوة الإسلامية الصحيحة النظيفة بالسجن

والرصاص والمقاصل والمجازر والمداهمة والمعتقلات والسجون؟ ﴿ **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾[سورة البروج الآية ٨] .

إننا نعلم أن القتل والتضييق والسجن والمداهمة لا يقضي على الغلو أو التطرف بل يقويه ويرسخ جذوره ويجمع حوله الأنصار ويكثر الاتباع ، الحق أن الدعوات لا تحارب بالقهر والعسف والملاحقة.

(ولا يتصور أن لمة سحرية تعالج التطرف ، وتعيد المتطرفين إلى خط الاعتدال، فإن الأمراض التي تتعلق بأنفس البشر وعقولهم أعمق وأعقد من أن تعالج بهذه السهولة ، وإذا كان من الأسباب ما هو فكري ، وما هو نفسي ، وما هو اجتماعي، وما هو سياسي ، فإن العلاج ينبغي أن يكون كذلك: فكريا ونفسيا واجتماعيا وسياسيا ، وأن يكون ذلك كله من منطلق الإسلام ، وفي ضوء الإسلام ، لأن الظاهرة في أساسها دينيه [١].

إن الغلو لا يحارب بالتجاهل لقد سبق الحديث عن أسباب الغلو أو التطرف التي لابد من إزالتها ، إن العلاج لا ينفصل عن الأسباب ، فإذا كانت الأسباب كما بيتا، متنوعة متعددة ، فلابد أن يكون العلاج كذلك متنوعاً متعدداً.

ولذلك فإنه لابد من :

أولاً: تمكين العلماء الربانيين ، والدعاة العاملين من القيام بواجبهم وفتح السبل لكلمتهم، والسماح بمرورها إعلامياً وتسخير إمكانات الأمة كلها لهذا الغرض، وأن يشكل العالم الشرعي ، أو الداعية الرباني مرجعية حقيقية للجميع: حكاما ، ومحكومين ، على حد سواء ولا يجوز أن تكون المنابر الدينية حكرا على فئة من الهتافين المصفقين من أمثال من يبيعون دينهم بدنياهم ، بل يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ، ويرجحون رغباتهم وأهوائهم على دعوتهم ورسالتهم ، ويسترضون المسؤولين على حساب دينهم .

إن المناصب الرسمية الدينية أصبحت وقفا في أكثر من بلد إسلامي على فئات معلومة ممن يجيدون فن المداهنة والتلبيس ، وأصبح هؤلاء في زعم الأنظمة هم الناطقين الرسميين باسم الإسلام والمسلمين ، مع أن جُل دورهم تزيين ما يراه الحاكم وتجميله

(١) الصحوة الإسلامية ص١٣٠.

ولو كان ضد منهج الإسلام ، مع أن جُل دورهم تزيين ما يراه الحاكم وتجميله ولو كان ضد منهج الإسلام ، والهجوم على من يسمونهم المتطرفين.

ثانياً: لابد من إيجاد قنوات علمية ودعوية وإعلامية يتمكن الدعاة إلى الله عز وجل من خلالها من عرض الصورة الصحيحة للإسلام ، وتنقيته من الداخل ، وإزالة الشوائب العالقة في أذهان بعض العلمانيين وأمثالهم حول شمولية هذا الدين ، وتعريف الناس بدينهم الحق ، أما مجرد الخطب الرنانة التي ينقضها الواقع فإنها لن تغير شيئاً، حتى الاتجاهات التي يصاحبها نوع من الحدة أو الشدة يجب أن تحاور وتناقش في الهواء الطلق وليس من وراء القضبان ، (وإذا لم تعرض الدعوة الإسلامية الصحيحة الناضجة من الكتاب والسنة **فإن البديل عن ذلك أمران :**

١- شيوع المنكر الفكري والخلقي بلا نكير وهذا يؤدي إلى التطرف كما سبق بيانه.

٢- الدعوات المنحرفة التي ستجد آذاناً صاغية فإن الناس إذا لم يعرفوا الحق تشاغلوا بالباطل[١].

ثالثاً : لابد من تنقية أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية من كل ما يخالف منهج الإسلام عقيدة وشريعة وأحكاماً وأخلاقاً ، ولابد من منع أصحاب الفكر المنحرف من التسلل إلى الإعلام ، ومنع المساس بالدين وأهله في تلك الأجهزة ، إن مما يؤسف له أن الإعلام العربي يتحدث عن الدعوة الإسلامية باسم التطرف أو الأصولية فيتخلى عن الموضوعية ويتناقض وينحاز ، فلا يعرض إلا رأياً واحداً ولا يعرض إلا جانباً واحداً من الحقيقة .

رابعاً : ضرورة ضبط مناهج التعليم وربطها بدين هذه الأمة وتاريخها وحاضرها ومستقبلها حتى يتخرج جيل مؤمن يعرف دينه .

تقول التقارير الأمنية : عن تكثيف المواد الدينية هو الذي يولد المتطرفين، وتدريس التاريخ الإسلامي والجهاد يولد روح الفداء في نفوس الشباب ، والواقع أن تكثيف المواد الشرعية والإسلامية هو الذي ينتج العلم الصحيح الواقي من الانحراف

(١) مجلة البيان العدد (٦٧) ربيع الأول ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

أما أولئك الذين يظنون أنهم سيحولون بين الأمة ودينها وبين الأمة ولغتها وبين الأمة وتاريخها فهم مفرطون في الوهم ، فالإسلام قادم لا محالة ، وإذا كانوا يحاربون الإسلام فليبشروا بالخيبة والخسارة والخذلان. (١)

خامساً : ضرورة إصلاح الأوضاع الشرعية والأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وحمايتها من الانحلال الخلقي ، ودعم المؤسسات الإصلاحية الدعوية القائمة على حماية الآداب والأخلاق ، إنه كما يوجد جهاز مختص لمكافحة المخدرات يجب أن توجد أجهزة قوية ممكنة وذات صلاحية واسعة أيضاً في مكافحة ألوان الجرائم التي لا يقرها الشرع وأول من يجب أن يساند هذه الجهات القانون نفسه أو النظام.

لابد (أن يعترف هذا المجتمع بانتمائه للإسلام ، وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك ، فالإسلام ليس مجرد دعوى تدعى ، ولا شعار يرفع ، ولا مجرد نص في الدستور على أن دين الدولة الإسلام ، ثم تسير سفينة الحياة بعدها في خط يجافي الإسلام.

إن الإسلام منهج متكامل للحياة ، يصبغها بصبغة الربانية ، ويوجهها وجهته الأخلاقية ، ويضع لها الإطار والمعالم والحدود التي تضبط سيرها ، وتربطها بغاياتها، وتقيها الانحراف عن الجادة ، أو السقوط في الحفر ، أو الضياع في مفترق الطرقات.

لهذا كان الإسلام عقائد تقوم الفكر ، وعبادات تطهر القلب ، وأخلاقا تزكي النفس ، وتشريعا يقيم العدل ، وآدابا تجمل الحياة .

ولابد – لكي يكون المجتمع مسلما حقا – من الالتزام بالإسلام كليه ... والرضى بحكم الله ورسوله ﷺ في كل شؤون الحياة : اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية ، أو فكرية . (٢)

سادساً : إزالة أسباب الظلم في المجتمعات ، فقد يؤدي تطرف الحاكم في جوره إلى تطرف المحكوم في تكفيره .

لابد من إقامة العدل وإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم ، سواء أكانت هذه الحقوق حقوقاً مالية أو كانت حقوقاً شخصية أو سياسية أو غير ذلك ، فإن المجتمعات لا يمكن

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الصحوة الإسلامية ص١٣٢.

أن تقوم على الظلم أبداً ، والله تعالى ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة ، ومن الظلم سرقة أقوات الناس وأموالهم ومن الظلم بل من أبشع الظلم مؤاخذة الناس بما لم يفعلوا ومن الظلم حبس الناس بالتهمة والظن.

سابعاً: مناقشة الأفكار والحجج والشبهات التي يتذرع بها أهل الغلو وتفنيدها والرد عليها وتطعيم الناس ضدها لئلا يغتروا بها ، فنحن نقول فعلا بأن الغلو خطر على الإسلام كما أن التفريط هو الآخر خطر :

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

ثامناً : نشر العلم بين الناس عموماً ، وأحداث الإسان ، من خلال المقررات في المدارس ، والجامعات الإسلامية ، والمحاضرات العامة ، وضرورة ربط شباب الأمة بعلمائها من أهل الثقة ، من خلال عقد اللقاءات المفتوحة معهم ، وسهولة الوصول إليهم.

تاسعاً : التضييق على أهل التطرف ، وعدم تمكينهم من نشر مذهبهم .

عاشراً: فتح أبواب الحوار معهم .

ويشترط في ذلك عدة أمور: (١)

١- أن يكون في محلهم ، وليس أمام عامة المسلمين ، حتى لا يتأثر العامة بشبههم.

٢- أن يكون المحاور لهم عالماً بالدين .

٣- أن يكون مقبولاً لديهم .

٤- أن يجادلهم بالتي هي أحسن .

كما فعل ابن عباس – رضي الله عنهما – مع الخوارج.

وذلك أن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : لما خرجت الحرورية، اعتزلوا في دار ، وكانوا ستة آلاف ، فقلت لعلي : يا أمير المؤمنين ، أبرد بالصلاة ، لعلي أكلم هؤلاء القوم ، قال : إني أخافهم عليك ، قلت : كلا ، قال : فخرجت إليهم ، ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، ومضيت إليهم ، حتى دخلت عليهم في دار

---

(١) التطرف في الدين دراسة شرعية مرجع سابق ص١٩.

وهم مجتمعون فيها ، فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس ، فما هذه الحلة ؟ قلت : ما تعيبون علي ، لقد رأيت على رسول الله - ﷺ - أحسن ما يكون من الحلل ، وقرأت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢]

فقالوا : ما جاء بك ؟ قلت : أتيتكم من عند أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار ، من عند ابن عم النبي ﷺ وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعرف بتأويله منكم ، جئت لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون ، فانتحى لي نفر منهم ، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه ، وختنه ، وأول من آمن به.

قالوا : ثلاث ، قلت : ما هي ؟ قالوا : إحداهن أنه حكم الرجال في دين الله ، وقد قال تعالى:﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾ [الأنعام : ٥٧ - يوسف : ٦٧] ، قلت : هذه واحدة ، قالوا : وأما الثانية ، فإنه قاتل ولم يسب ، ولم يغنم ، فإن كانوا كفارا فقد حلت لنا نساؤهم وأموالهم ، وإن كانوا مؤمنين فقد حرمت علينا دماؤهم. قلت: هذه أخرى. قالوا: وأما الثالثة فإنه محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه يكون أمير الكافرين ، قلت هل عندكم غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا.

قلت لهم : أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم هذا ، ترجعون ؟ قالوا : اللهم نعم. قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله، فأنا أقرأ عليكم أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في أرنب ، ثمنها ربع درهم، قال تعالى : ﴿ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام : ٥٧ - يوسف ٦٧] ، وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء : ٣٥] ، أنشدكم الله ، أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم ، وإصلاح ذات بينهم أحق ، أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ قالوا : اللهم بل في حقن دمائهم ، وإصلاح ذات بينهم. قلت : أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم ، قلت : وأما قولكم : إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم عائشة ، فتستحلون منها ما تستحلون من غيرها ، وهي أمكم ، لئن فعلتم لقد كفرتم، فإن قلتم : ليست أمنا ، فقد كفرتم ، قال الله تعالى :﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب : ٦] ، فأنتم بين ضلالتين ، فأتوا منهما بمخرج ، أخرجت من هذه الأخرى ؟ قالوا : اللهم نعم ، قلت : وأما قولكم : إنه محا نفسه من أمير

المؤمنين ، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا، فقال: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله ، فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبدالله ، فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. يا علي ، اكتب محمد بن عبدالله ، فرسول الله ﷺ خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه ذلك محوا من النبوة ، أخرجت من هذه الأخرى؟ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم ألفان ، وبقي سائرهم ، فقتلوا على ضلالتهم ، قتلهم المهاجرون والأنصار[1] .

(١) المستدرك (٢٠٢/٤) ، حديث : ٧٣٨٦ ، والسنن الكبرى (١٦٥/٥) ، حديث : ٨٥٧٥، قال ابن حجر : وإسناده صحيح الدراية في تخريج أحاديث الهداية (١٣٨/٢) ، وانظر نصب الراية تخريج أحاديث الهداية للزيلعي (٤٦١/٣) تحقيق أحمد شمس الدين ط/ دار الكتب العلمية بيروت ..

خاتمة

وختاماً أحمد الله تعالى على توفيقه وأشكره على معونته وامتنانه ، وأسأله سبحانه أن ينفع به ، ويستر عورتي ، ويقيل زلتي ، ويجعله في موازين أعمالي .

وقد وصلت من خلال هذا البحث إلى العديد من النتائج ، أهمها ما يأتي :

- الغلو في الدين أو التطرف يشمل كل رأي مخالف للشرع.
- الغلو في الدين أو التطرف يخالف أصل الدعوة الإسلامية المبنية على التيسير والسماحة .
- التأثير السلبي للغلو في الدين أو التطرف على الدعوة والدعاة.
- تحذير الأئمة والعلماء من الغلو في الدين أو التطرف لخطورته على الأمة الإسلامية .
- يزداد الغلو في الدين أو التطرف في حالة رخاء الأمّة .
- القضاء على الغلو في الدين أو التطرف لا يكون إلا بالحوار والحجة.
- مناقشة الأفكار والحجج والشبهات التي يتذرع بها أهل الغلو وتفنيدها والرد عليها وتطعيم الناس ضدها لئلا يغتروا بها .
- تمكين العلماء الربانين ، والدعاة العاملين من القيام بواجبهم وفتح السبل لكلمتهم ، والسماح بمرورها إعلامياً وتسخير إمكانات الأمة كلها لهذا الغرض.
- نشر العلم الشرعي المبني على الكتاب والسنة يحد من انتشار التطرف.
- نشر العلم الشرعي أحد أسباب القضاء على ظاهرة التطرف في المجتمع المسلم.

هذا وبالله التوفيق وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكان الانتهاء منه في الثالث والعشرين من رمضان ١٤٢٦هـ

الخامس والعشرين من أكتوبر ٢٠٠٥

د/ مجدي عبدالغفار حبيب

أستاذ مساعد بكلية أصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالقاهرة

وكلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد بالسعودية

ثبت بأهم المراجع

القرآن الكريم :

١- الائتلاف في عدم الإنكار في مسائل الاختلاف / سعيد باشنفر ط/ فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر . ١٤٢١هـ.

٢- الأحاديث المختارة / المقدسي ، تحقيق/ عبدالله بن دهيش ط/ مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ.

٣- أحكام القرآن للجصاص (أبو بكر أحمد بن علي) ط/ دار الفكر بيروت .

٤- إعانة الطالبين على حل ألفاظ المعين السيد البكري الدمياطي ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٥- الاعتصام للشاطبي ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم تحقيق مشهور حسن آل سلمان ط/ دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – د. خالد السبت – المنتدى الإسلامي – الطبعة الأولى (١٤١٥هـ) .

٨- الأمن رسالة الإسلام – جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

٩- إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ط/ دار الكتب العلمية بيروت ، البدر الطالع للشوكاني مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ.

١٠- البيان لأخطاء بعض الكتاب – أ.د. صالح الفوزان – دار ابن الجوزي – الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

١١- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم ابن عساكر – الطبعة الأولى – (١٣٤٧هـ).

١٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفورى ط / دار الكتب العلمية بيروت.

١٣- التطرف في الدين دراسة شرعية . د/ محمد عبدالرازق الطبطباني . اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٤- التطرف الفكري وأزمة الوعي الديني – د. مسفر القحطاني .
١٥- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير الدمشقي أبو الفدا ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
١٦- تفسير الطبري (جامع البيان) ط/ دار الفكر بيروت ١٤ .
١٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ط/ دار الشعب القاهرة ١٣٧٣هـت الطبعة الثانية تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني.
١٨- تكملة الإكمال للبغدادي تحقيق د/ عبدالقيوم عبد رب النبي ط/ جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٠هـ.
١٩- التوقيف على مهمات التعريف للمناوي تحقيق د/ محمد رضوان الداية ط/ دار الفكر المعاصر بيروت .
٢٠- تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبدالله آل الشيخ – المكتب الإسلامي – الطبعة السابعة (١٤٠٨) (ص: ٣٠٥).
٢١- الثمر الداني شرح رسالة القيرواني .
٢٢- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر د/ صلاح الصاوي كتاب المنتدى مطابع أضواء البيان سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي .
٢٣- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع الخطيب البغدادي أبو بكر ط/ مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣هـ تحقيق د/ محمود الطحان.
٢٤- جذور الغلو / عبدالرحمن الهرفي ط/ دار ابن الجوزي .
٢٥- جامع العلوم والحكم بتحقيق خليل منصور ط/ دار الكتب العلمية بيروت .
٢٦- الجرح والتعديل للقاسمي .
٢٧- حاشية ابن عابدين (حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) ط/ (دار الفكر للطباعة والنشر) .
٢٨- حرمة الغلو في الدين – أسامة حافظ وعاصم محمد – مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).
٢٩- حقيقة التطرف الديني في ضوء الكتاب والسنة د/ يوسف صديق ط/ مكتبة ابن تيمية الكويت.

٣٠- الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالله هاشم اليماني ط/ دار المعرفة بيروت .
٣١- درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية تحقيق : د. محمد رشاد سالم ط/ جامعة الإمام – الطبعة الثانية (١٤١١).
٣٢- الدعوة قواعد وأصول تأليف / جمعة أمين عبدالعزيز الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ط/ دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع القاهرة .
٣٣- الرد على المخالف من أصول الإسلام . د/ بكر أبو زيد.
٣٤- زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي) ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٣٥- سنن البيهقي ط/ مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م تحقيق محمد عبدالقادر عطا.
٣٦- سنن الترمذي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.
٣٧- سنن سعيد بن منصور ط/ دار العصيمي الرياض ١٤١٤هـ الطبعة الأولى تحقيق د/ سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد .
٣٨- السنن الكبرى البيهقي تحقيق محمد عبدالقادر عطا ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٣٩- سنن النسائي ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٤٠- سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٣٩/٧) . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٤١- شعب الإيمان للبيهقي تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٠هـ.
٤٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين ط/ دار الكتب العلمية بيروت.
٤٣- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف. د/ يوسف القرضاوي الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ١٩٩٢م ط/ دار الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة .

٤٤ صحيح ابن حبان حديث تحقيق / شعيب الأرنؤوط . ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م الطبعة الثانية .

٤٥ - صحيح ابن خزيمة تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي ط/ المكتب الإسلامي بروت (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

٤٦- صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل) . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤٧- صحيح مسلم بشرح النووي (محي الدين يحيى النووى)ط/ دار الكتب العلمية بيروت .

٤٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود (العظيم أبادي / محمد شمس الحق، ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٤٩- العلل المتناهية لابن الجوزي ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ الطبعة الأولى تحقيق خليل الميس.

٥٠- الغلو مصطفى خليل ط/ أولى ١٤١٩هـ ط/ دار المعرفة.

٥١- الفتاوى الكبرى (فتاوى ابن تيمية) ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٥٢- فتح البارى شرح صحيح البخاري تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي / محب الدين الخطيب ط/ دار المعرفة بيروت ١٣٨٩.

٥٣- فتح القدير (تفسير الشوكاني) محمد بن على الشوكاني. صححه وضبطه أحمد عبدالسلام . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٥٤- الفردوس بمأثور الخطاب الديلمي تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. ط/ دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٨٦م.

٥٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٥٦- فقه الخلاف د/ عوض القرني ط/ دار الأندلس الخضراء الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. فتح القدير.

٥٧- فن التعامل مع الناس د/ عبدالله الخليل ط/ مطابع أضواء البيان – الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٥٨- الفواكه الدواني : النفراوي ط/ دار الفكر .

٥٩- فيض القدير للمناوي ط/ المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٣٥٦هـ. الطبعة الأولى .

٦٠- في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ط/ دار الشروق الطبعة الحادية عشر.

٦١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام – عز الدين بن عبد السلام صححه وضبطه عبداللطيف حسن عبدالرحمن. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٢- الكافي (ابن عبدالبر القرطبي) . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٣- كشف الخفاء للعجلوني تحقيق أحمد القلاش ط/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الرابعة.

٦٤- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٥- لسان العرب لابن منظور ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٦- مبادرة وقف العنف / أسامة حافظ وعاصم محمد الطبعة الأولى مكتبة ١٤٢٥هـ العبيكان .

٦٧- مجلة البيان .

٦٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي . ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٦٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية. ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٧٠- المستدرك على الصحيحين للنيسابوري تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٧١- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم لأبي نعيم الأصفهاني ط/ أولى . ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٦م تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي .

٧٢- مسند الإمام أحمد ط/ مؤسسة قرطبة مصر .

٧٣- المسودة الأصولية لآل تيمية ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

٧٤- مشكلات في طريق الحيلة الإسلامية / الشيخ محمد الغزال الطبعة الثالثة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر .

٧٥- مصنف عبدالرزاق ط/ المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ الثانية تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٧٦- معجم البلدان ياقوت الحموي تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٧٧- المعجم الوسيط للطبراني تحقيق/ طارق بن عوض الله بن محمد . عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ط/ دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ.

٧٨- معجم مقاييس اللغة تحقيق شهاب الدين أبو عمرو الطبعة الثانية ط/ دار الفكر ١٤١٨هـ.

٧٩- مفتاح الجنة / عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ط/ الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ١٣٩٩هـ الثالثة.

٨٠- المنطلق محمد الراشد . ط/ دار المنطلق دبي الإمارات العربية المتحدة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٨١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي ط/ دار الفكر .

٨٢- منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر ط/ أولى ١٤٠٦هـ.

٨٣- من مرتكزات الخطاب الدعوى / عبدالله الزبير عبدالمحسن كتاب الأمة العدد ٥٦/ ذو القعدة ١٤١٧هـ.

٨٤- نصاب الاحتساب – عمر بن عوض السنامي – تحقيق : د. مريزن عسيري هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

٨٥- نصب الراية للزيلعي ط/ دار الحديث مصر ١٣٥٧هـ تحقيق محمد يوسف البنوري .

٨٦- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (مجد الدين) ، تحقيق صلاح محمد عويضة ط/ دار الكتب العلمية بيروت.

٨٧- نيل الأوطار للشوكاني ط/ دار الكتب العلمية.